الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أكلي محند أولحاج
-البويرة-
كلية الآداب واللغات

Ministère de l'Enseignement Supérieur
et de la Recherche Scientifique
Université Akli Mohand Oulhadj - Bouira -
Tasdawit Akli Muḥend Ulḥağ - Tubirett -
Faculté des Lettres et des Langues

جامعة البويرة

قسم: اللغة والأدب العربي

السخرية في الأدب الجزائري
أبو العيد دودو أنموذجـــاً

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الليسانس كلاسيك في اللغة والأدب العربي

إعداد الطالبتين:

- نوال العياشي
- حفيظة بن منصور

تحت إشراف الأستاذ:

د. محمد الهادي بوطارن

السنة الجامعية:2013/2012

إهـــــداء:

الحمد لله الذي ووفقنا ورعانا وأعاننا لإنجاز هذا البحث وإتمامه والصلاة والسلام على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم:

أهدي هذا العمل:إلى التي حملتني وهنا على وهن،وتحملت شقائي ولم تبخل علي بدعائها...أمي الحبيبة إلى الذي رضاه من رضا ربي...أبي الحنون

إلى مثلي الأعلى أخواتي الغاليات فاطمة الزهراء ربيعة ظريفة جميلة رشيدة نصيرة و زوجها محمد.

إلى إخوتي خالد، عز الدين، مصطفى، سليمان وزوجته صبيحة .

إلى عصافير العائلة:ابن أخي أيمن الشقي،وأبناء أختي فوزي وعبد الحليم.

وحبيبتي التي ملأت حياتي بسمة وضياء،ملاكي صـــفـــاء...أحـــبـــك .

إلى توأم روحي وكاتمة أسراري التي علمتني معنى الوفاء، والاحترام:حـــفـــيـــظـــة

إلى روح عمرو الطاهرة.

إلى عماتي وأعمامي ،خالي وخالتي وأبنائهم وبناتهم جميعا وإلى جدي وجدتاي أطال الله في أعمارهم. وخاصةعمتي مليكة"حبيبة.

إلى صديقاتي:زينب،نعيمة، جيجي ،أنيسة،فطيمة، سالي، لويزة ،جميلة، أمينة، رزيقة، كهينة، وهيبة، سامية، كريمة، خديجة، سارة، لمياء، سهيلة، رقية، ليندة، وسيلة، مها، أميرة، سعيدة، مريم، صابرينة،...

إلى زملائي:عبد المالك، محفوظ، وليد، رابح، رضا.

إلى أغلى البشر تـــوفـــيق.

شكر خاص:اسمهان التي ساعدتني في هذا العمل.

نـــــــوال

إهـــــداء:

نحمده عز شأنه ،على توفيقه،والتسهيل في أمره ،سبحانه الذي بفضله أتممنا عملنا ووصلنا إلى إنجاز بحثنا

أهدي ثمرة مجهودي :

إلى من سهرا من أجلي طوالا ،إلى من علماني القوة والحنان والنضال ،فألزماني بذكره تعالى ،فكنت للذكر منشغلة انشغالا.

إليكما والدي الكريمين:أمـــي الغـــاليـــة ،أبـــي العـــزيـــز.

إلى أفضل لؤلؤتان على قلبي غاليات،من كانتا لخير العمل ناصحات.

إليكما أختاي العزيزتين:سيهام،سارة.

إلى من كانوا لي نعم السند،وخير المرشد ،على الوفاء بالعهد ،لتحقيق المجد.

إليكم إخوتي الأعزاء:نصر الدين ،رضا،سمير ،فتحي ،رفيق.

إلى الأخت التي لم تنجبها أمي،يا من استقبلتي صداقتي بقلب محب، ومزالقي بصدر رحب،يا من ساعدتني للوصول إلى الدرب:نـــوال.

إلى صديقاتي كلهن،من سعين لإسعادي بوقوفهن،فصانوا أسراري واطمأنوا لأخباري: أميشة، مريم الغالية ،نعيمة ،جيجي،خديجة،أسماء المخلصة ،وسيلة ،ليندة،رقية،سوسو ،أمينة ،حياة ،الويزة، ميكا سامية،كريمة أنيسة ،فطيمة ،جنات،سارة ،لامية،ميرا ،مها.

شكر خاص للأختين اللتين أذاقتاني طعم الحياة،فتركتا في قلبي أجمل الذكريات.الرائعتين: خدوج،اسمهان.

إلى بهجة المنزل وفرحة لا تعوض بأثمان ،لا بماس ولا بمرجان:الكتكوت يونس.

إلى كل عائلة بن منصور ومولوج .

إلى كل من رسم بسمتي ومسح دمعتي وكان منيرا لحياتي ،وكل من تمنى أن أنال سعادتي ،ولو بكلمة طيبة في حضوري أوخفيتي.

حـــفـــيـــظـــة

شكر وتقدير

نتقدم بجزيل الشكر والامتنان للأب الثاني الأستاذ المحترم**محمد الهادي بوطارن**

الذي كان لنا العون والسند،والذي لم يبخل علينا بنصائحه وتوجيهاته،ولطالما أخجلنا بتواضعه ووقاره .

دون أن ننسى كل الأساتذة الكرام الذين رافقونا طيلة مشوارنا الدراسي.

مقدّمة:

شغلت السخرية حيزًا واسعا في الدراسات العربية ، فكان لها الشأن العظيم والمكانة المرموقة في الآثار الأدبية من شعر ونثر ، وبذلك كانت محطّ اهتمام الدّارسين والباحثين، حيث اعتبروها ميدانا خصبا لجلّ الدراسات التّي أدركت أنّ السخرية تثير من جديد العديد من التساؤلات التّي تجلبنا إلى البحث فيها والتنقيب عن آفاقها.

لقد اهتدينا في دراستنا هذه إلى التطرّق للنّص الساخر في الأدب الجزائري الحديث التّي وظّفها وكشف عن ملامحها ، فكما وجدت السخرية في الأدب العربي ، تربعّت على عرش الأدب الجزائري ، وبذلك ارتأينا دراسة أحد أكبر الكتّاب الجزائريين الأديب« أبو العيد دودو » الذّي أوردها في مؤلّفاته ، وقد اخترناه لأنّه وظّف العديد من الأساليب الساخرة والمستهزئة بالعدوّ ، إضافة أنّه عالج الفكاهة والضحك في مواضيع اجتماعية عديدة.

لقد سعينا في بحثنا:السخرية في الأدب الجزائري أبو العيد دودو أنموذجا ، إلى الإجابة عن التساؤلات التّي نثري البحث في هذا الموضوع ، فما هي السخرية؟ وماذا عن السخرية في الأدب العربي؟ ما هي أهّم الأساليب التّي عبرّت عنها؟ وإذا انتشرت في الأدب الجزائري ما هي العوامل المساعدة على ذلك؟ وماذا عن أشكالها ودلالتها عند أبي العيد دودو؟.

وقد تمثّلت هذه التساؤلات الإشكالية المتمحورة حول هذا البحث ، والتّي سنحاول الإجابة عنها ، والإلمام بجوانبها.

لقد ارتأينا وضع تمهيد للحديث عن السخرية في الأدب الجزائري العربي ، وكيف كانت أحواله فيه مع أخذ عينات من الاثار العربية.

في الفصل الأوّل ، فحاولنا تحديد مفهوم السخرية ، وأساليبها وعوامل انتشارها في الجزائر.

وفي الفصل الثّاني جعلنا اهتمامنا منصبا على السخرية الأديب دودو ، وبحثنا عن أشكالها ، وكيف وظفّها في مؤلفّاته:دار الثلاثة ، صور سلوكية ، بحيرة الزيتون ،الطريق الفضي،وما هي دلالتها عنده.

وختمنا بحثنا برصد أهمّ النتائج التّي توصّلنا إليها ، وهي أنّ السخرية نالت اهتماما كبيرا في الدراسة الأدبية ، وأنّ أبي العيد دودو قد صوّرها بتصوير رائع استطاع به الريادة فيها ، فهي تدلّ على نظرة أديب عظيم في أفكاره ، ورسمه للواقع الجزائري بطرق ساخرة ، فكاهية وطريفة.

اعتمدنا في بحثنا هذا على عدّة مصادر ومراجع أهمها:

ــ السخرية في الأدب الجزائري لمحمّد ناصر بوحجام.

ــ صور سلوكية لأبي العيد دودو.

ونذكر من بين أكبر العوائق التّي واجهتنا في بحثنا هذا هي قلّة الدراسات الخاصة بموضوع السخرية .

نأمل في الأخير أنّنا قد وصلنا أو توصّلنا إلى الإلمام بجوانب الموضوع ، ومعالجته عند الأديب دودو وأنّنا قد أثرينا بحثنا بالعديد من الأفكار التّي رأينا أنّها تخدم الموضوع. واللّه وليُّ التوفيق.

تمهيد: السخرية في الأدب العربي:

زخر أدبنا العربي بالسخرية والفكاهة والضّحك والدعابة ، وتناثرت الصور الفكهة ، والنّوادر المستلحمة في مراجع الأدب الكبرى[1]، فقد انتقلت السخرية من أبسط أشكال الضحك مثل ضحك الأطفال من شخص تزحلق على قشرة موز في الشّارع إلى شكل مهذّب ضمن نطاق الأدب بفروعه وأشكاله المختلفة ، فقد جُسدّ هذا الأدب الهزلي في صور شعرية ذات الوزن والقافية ، ومال تارة إلى النثر الفنّي المسجوع وغير المسجوع ، وهذا النّوع من الأدب يزخر بالمضامين الثقافية والدينية والعلمية، إذ أنّه مفعم بالمعلومات المستمّدة من المصادر القديمة.[2]

يعدّ "أبو عثمان ، عمرو بن بحر الجاحظ" إمام السّاخرين وشيخ المتندّرين ، إذ أفرد للسخرية رسائل وكتبا ، فتأثّر به من جاء بعده:ك"ابن قتيبة "(276هـ) ، و" ابن الجوزي "(597هـ) ، و"الأسعد بن مماتي"(616هـ) ، و" ابن عبد ربّه "(328هـ) ، و"أبو الحثيان التوحيدي"(414هـ)....وغيرهم ، وكثر المؤلفون في الأدب الساخر في العصر الحديث.

والسخرية قديمة قدم الإنسان ، لأنّها قد تكون ترويحا عن النفس أو تسرية عن القلب، أو استنكارا لما يقع ، أو هزءا أو تندّرا بالخصم ، كما جاء في قصّة"نوح " عليه السلام:[3]حيث أمر بصنع السفينة ليجمع فيها كلّ من زوجين اثنين ، وأهله وقرابته المؤمنين ، ومن اتّبعه وامن به...هزأ به قومه ، وضحكوا وقالوا:

(1)حليم محمّد حسين سيّد ــ السخرية في أدب الجاحظ ــ دار الشرقيات للنشر والتوزيع ــ القاهرة ــ 1995 ــ ص63.

(2)ينظر ــ يوسف سدّان ــ الأدب العربي الهازل ونوادر الثقلاء العاهات والمساوئ الإنسانية ومكانتها في الأدب الرّاقي ــ منشورات الجمل ــ بغداد ــ 2007 ــ ص25.

(3)المرجع نفسه ــ ص64.

يا نوح كنت بالأمس نبيا ، وأصبحت اليوم نجارًا !فكان جواب ‹‹نوح ››حامط الوعيد والتهديد عاقبة لتكذيبهم واستهزائهم ، قال تعالى:‹‹ ويصنع الفلك وكلّما مرّ عليه ملأ من قومه سخروا منه ، قال إن تسخروا منّا فإنّا نسخر منكم كما تسخرون ››.[1]

إنّ السخرية إذا قصد منها الاحتقار والاستصغار لغير سبب ظاهر ، فهي منهى عنها بنصّ القران الكريم قال تعالى:‹‹ يا أيّها الذّين امنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساءٌ من نساء عسى أن يكونوا خيرًا منهنّ...››.[2]

لما فيه من الاستهانة بأقدار النّاس وكرامتهم ، ولأنّه يجرح شعور المستهان به ويؤذيه ، فإذا كان المسخور منه بليد الشعور لا يتّأثر بما يلحقه من إهانات ، فإنّ النّهي في هذه الحالة لا يتناوله ، بل يكون تحقيره ضربا من المزاح الذّي أحلّه اللّه ، فقد قال الشيخ سيّد سابق:

إذا أنت لم تعرف لنفسك حقّها هوانا بها كانت على النّاس أهوانا[3]

والسخريات التّي ملأت بها كتب الأدب العربي كانت من هذا القبيل ، لأنّها تناولت الغفلة والتغافل ، والتناقض والتلاعب بالألفاظ والتّهكم بالعيوب الخلقية ، والجسدية ، أي السخرية على حساب ذوي العاهات وخَلقهم ، فقد وُجد عند أدباء القرون الوسطى الذّي حذو هذا النّحو ، مثل الثعالبي والمتوفي عام 429هـ/1038هـ ، الذّي ذكر بين العجائب:‹‹ أعمى كحّالا ، وأعمى منجما ››[4] ومثل الرّاغب الأصفهاني المتّوفي عام502هـ/1107هـ ، الذّي أدرج بين عجائبه:‹‹ منّجما أعمى، ومناديا أخرس ، وكحالا أرمد ››...[5]

(1)سورة هود ــ الاية38.

(2)سورة الحجرات ــ الاية11.

(3)الشيخ سيد سابق ــ إسلامنا ــ طبعة المطبعة الحديثة ــ مصر ــ 1976 ص284.

(4)يوسف سدان ــ الأدب العربي الهازل العاهات والمساوئ والإنسانية ومكانتها في الأدب الرّاقي ــ ص27.

(5)المرجع السابق ــ ص28.

إذن لم يرأف من صاغ هذه التعابير الهازلة بالعميان ، أو بأشباههم من ذوي العاهات[1]، وهناك أيضا التّهكم الاجتماعي والسياسي ، والتّخلص الفجّ ، والقلب والعكس ، وضعف العقل وغير ذلك.

والذّي ساق المتّندرين والساخرين إلى هذا ، خبرتهم بأنّ الإنسان يطرب ، بطبيعته للفكاهة ، ويمدح الهشاشة ، ويستلّذ البشاشة ، قال أرسطو في كتابه‹‹ فنّ الشعر››والهزل أو المزاح تمثيل الصغار من غير غضب يقترن بهذا التّمثيل ، ومن غير إيلام للمحاكى...إنّ المستهزئ تتّسم سحنته بالفرح والانبساط ، لا بالانقباض ، والغّم والأذى ، فالمضحك نوع ذميم أو مشوّه ، لا يبلغ حدّ الإيلام لنا أو الإيذاء ››.[2]

ولأنّ الفكهينالمتّندرين ، يريدون للنادرة أن تستحوذ على القلب حتّى تبلغ مبلغها من الإضحاك ، رأوا أن تكون النّفس خالية هادئة ، قال"برجسون":‹‹...وإنّ مجتمعنا مؤلّفا من عقول محضة ، ربّما لا يبكي أبدا ، ولكن يظّل يضحك ، أمّا النفوس المتأثرة دائما المتّصلة بأوتار الحياة ، فإنّها تهتّز للعواطف هزّات عاطفية ، ولذلك لن تعرف الضّحك ››[3]

ويرى هذا الفيلسوف:أنّ الإنسان حينما يضحك إنّما يضحك بعقله لا بقلبه وشعوره ، فلكي يضحك الإنسان لابدّ أن يتوقف قلبه لحظة عن الشعور ، كما يقرّر أنّ العقل الضاحك لا يمكن أن يضحك وحده ، بل لابدّ له من عقول تشاركه وتجاوبه حتّى يتأثّر بالشيء المضحك فيضحك ، ويقول في هذا الصدد:‹‹ فلكي يحدث المضحك ما يحدثه من تأثير لابدّ أن يتوقّف القلب برهة عن الشعور لأنّه يتوجّه إلى العقل المحض ، وينبغي لهذا العقل أن على صلة بعقول أخرى ، وهذه هي النقطة التّي

(1)الشيخ سيّد سابق ــ إسلامنا ــ طبعة المطبعة الحديثة ــ مصر ــ 1976 ــ ص28.

(2)حليم محمّد حسين سيّد ــ السخرية في أدب الجاحظ ــ ص65.

(3)برجسون ــ نقلا عن حليم محمّد حسين سيّد ــ السخرية في أدب الجاحظ ــ ص66.

أردنا أن نلفت إليها النّظر فنحن لا نتذوّق المضحك في حالة شعورنا بالعزلة ، والضحك في حاجة إلى صدى ››[1]

نماذج من السخرية في الأدب العربي:

اتّخذ المرح والسخر في أدبنا العربي ألوانا شتّى ، وكان له في ذلك نماذج عديدة نجعلها فيما يلي:

أوّلا:مزاح رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلّم ومداعبته:

قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلّم: ‹‹ لا خير فيمن لا يُطربُ ولا يُطرب ››[2]

وكان صلى اللّه عليه وسلّم‹‹ من أفكه النّاس مع صبي ، وكان من أفكه النّاس إذا خلا مع أهله ››[3]

وكان يمازح ويداعب الكلام من أجل السرور والمؤانسة واستمالة القلوب مع تجنّب إيذاء الغير ، قال أبو هريرة:‹‹ قالوا: يا رسول اللّه ، إنّك تداعبنا ، قال: إنّي وإن داعبتكم فلا أقول إلاّ حقّا ››[4]

ومن مداعبته عليه السلام التّي اتّخذت لونا من التورية أو الكناية:

1ــ عن‹‹أنس بن مالك ›› أنّ رجلا قال: يا رسول اللّه احملني(أي أعطني دابة أركبها) ، فقال صلى اللّه عليه وسلّم:‹‹ إنّا حاملوك على ولد النّاقة ›› ، قال الرجل:‹‹ وما أصنع بولد النّاقة؟ ›› فقال له النّبي صلى اللّه عليه وسلّم:‹‹ وهل تلد الإبل إلاّ النّوق؟ ››

(1)حليم محمّد حسين سيّد ــ السخرية في أدب الجاحظ ــ ص66.

(2)المرجع نفسه ــ ص67.

(3)المرجع نفسه ــ ص67.

(4)المرجع نفسه ــ ص67.

2ــ وعن"الحسن بن علي بن أبي طالب(رضي اللّه عنه) ": أنّه صلى اللّه عليه وسلّم قال لامرأة عجوز يوما: ‹‹ لا يدخل الجنّة عجوز ›› فحزنت فقال لها:‹‹ إنّك لست يومئذن بعجوز ›› ثمّ قرأ:‹‹ إنّا أنشأناهن إنشاءا﴿35﴾ فجعلناهن أبكارا﴿36﴾عربا أترابا﴿37﴾ ››[1]

3ــ وقال" زيد أبو أسلم " إنّ امرأة يقال لها" أم أيمن " جاءت إلى النبّي صلى اللّه عليه وسلّم ، فقالت:‹‹ إنّ زوجي يدعوك ، قال: ومن هو؟ أهو الذّي بعينه بياض؟ قالت: واللّه ما بعينه بياض ، قال صلى اللّه عليه وسلّم ، إنّ بعينه بياض ، فقالت: لا واللّه فقال صلى اللّه عليه وسلّم:ما من أحد إلاّ وبعينه بياض ››.[2]

ثانيا:سخريات بعض الصحابة وفكاهات بعض السلف الصالح:

وكما داعب رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلّم ومازح ، فقد فعلذلك صحابته الكرام، والتّابعون لهم باحسان:

1ــ قال" عمرو بن العاص "ل"معاوية بن سفيان ": رأيت البارحة في المنام كأنّ القيامة قد قامت ووضعت الموازين ، وأحضر الناس للحساب ، وأنت واقف قد ألجمك العرق ، وبين يديك صحف كأمثال الجبال ، فقال معاوية:‹‹ فهل رأيت شيئا من دنانير مصر؟ ››[3]

ف"عمرو " عرض بذنوب"معاوية " ، و" معاوية " عرض باستغلال"عمرو " لولايته على مصر وغناه منها.

(1)سورة الواقعة ــ الايات37/36/35.

(2)حليم محمّد حسين سيّد ــ السخرية في أدب الجاحظ ــ ص68.

(3)المرجع نفسه ــ ص69/68.

2ــ لقي" ابن أبي عتيق " عمته السيّدة"عائشة " ، وهي على بغلة ، وقال لها:إلى أين يا أمّاه؟ قالت: لأصلح بين حيين تقاتلا ،فقال:عزمت عليك إلاّ رجعت ، فما غسلنا أيدينا من يوم الجمل ، حتّى نرجع إلى يوم البغلة !.[1]

3ــ سأل أعرابي" عبد الملك " فقال له: أسال اللّه ، فقال الأعرابي:سألته فأحالني عليك ، فضحك منه وأعطاه.[2]

4ــ عزل الوليد بن عبد الملك بن مروان أخاه عبد اللّه عن ولاية مصر ، وولّى مكانه" قدّة بن شريك العبسي "(90ــ99هــ) ، وكان مظلوما عسوفا ماجنا ، فكتب شاعر مصري إلى الوليد: عجبت ما عجبت حين أتانا أن قد أمرت قدّة بن شريك:

وعزلت الفتى المبارك عنّا ثمّ قيلت فيه رأي أبيك[3]

فالشاعر يتهكّم بالوليد:لعزلة الوليّ الصالح الذّي ولاّه أبوه ، وتوليه الفاسد مكانه.

ثالثا:سخريات ومزاح الأدباء والأعراب والمتّندرين حتّى عصر الجاحظ:

العرب بطبيعتهم ، يميلون إلى خفّة الروح ، والسخرية والتّهكم ، والفكاهة وسرور النفس وانشراح القلب ، فقد ملأوا كتبهم بالطرائف والدعابات التّي عبرّت عمّا في داخلهم ، وهي تتوافق مع الواقع المعاش ، وحياتهم الملموسة. ومن هذه الدعابات والطرائف التّي تعددت ألوانها واختلفت طرائقها فيما يلي:[4]

1ــ القلب وعكس المراد من الجواب أو الجواب ، لون من السخر والفكاهة ، وقد جاءت نوادر شتّى من هذا اللّون في الأدب العربي منها:

(1)حليم محمّد حسين سيّد ــ السخرية في أدب الجاحظ ــ ص69.

(2)المرجع نفسه ــ ص70.

(3)المرجع نفسه ــ ص70.

(4)ينظر المرجع نفسه ــ ص74.

*ساوم" أشعب " رجلا في قوس ، فقال الرجل: أقّل ثمن لها دينار ، قال" أشعب ": واللّه لو أنّك إذا رميت لها طائرا من السماء ، فوقع مشويا بين رغيفين ، ما اشتريتها منك بدينار أبدا[1]

2ــ السخرية والتهكّم بالبخل والشره ، والصفاقة ، والغرور ، والجبن:

*قال" أبو الشمقمق مروان بن محمّد " في طعام"جعفر بن زهير ":

رأيت الخبز عز لديك حتى حسبت الخبز في جوّ السماء

وما روحتنا لتذب عنا ولكن خفت مرزئة الذباب[2]

وقال في السخرية بأكول:

كأنّما فيه أحجار الرحّا وكأنّما في جوفه تنور[3]

3ــ السخر من النّفس نجاة من عقوبة ، أو فرارا من شدّة ، أو قصدا للدعابة والمرح أو التحايل للحصول على شيء أو تنفيسا عن النّفس:

*قال"أشعب ": مررت بامرأة تصنع طبقا ، فقلت لها: باللّه عليك ، زيدي فيه ووسعيه ، قالت: لماذا؟ قلت: لعلّه أن يهدي إلي فيه شيء ، ولأن يكون كبيرا يسع كثيرا خير من أن يكون صغيرا.[4]

4ــ السخرية من التغافل الذّي يتخذونه تقية ، أو تفكها ، أوهروبا من شيء في نفوسهم:

---

(1)حليم محمّد حسين ــ السخرية في أدب الجاحظ ــ ص75.

(2)المرجع نفسه ــ ص76.

(3)أبو الفرج الأصفهاني ــ الأغاني ــ ج17 ــ دار الصادر ــ بيروت ــ لبنان ــ ط1 ــ1423م.2002م ــ ص83.

(4)المرجع السابق ــ حليم محمّد حسين ــ السخرية في أدب الجاحظ ــ ص81.

*عاد رجل مريض فقال له: ما علتّك؟ قال: وجع ركبتي ، فقال الرجل:إنّ جريرا يقول بيتا ذهبا ذهب عنّي صدره ، وآخره هو:‹‹ وليس لداء الركبتين دواء ››فقال له: ليتما ذهب عنك صدره مع نفسك[1]

*دخل " أبو دلامة " على" أمّ سلمة المخزومية "زوجة"السفاح " ليعزّيها في وفاته وهو يبكي وأنشدها قصيدة رثائه ، فلمّ أتّم إنشادها قالت له: ما أصيب أحد ب" السفاح ›› غيري وغيرك فقال لها: لم يصب به أحد سواي أنت لك ولد منه تتسلي نبه ، وأنا ولد لي منه.[2]

فضحكت" أمّ سلمة " ولم تكن ضحكت منذ مات زوجها ، وقالت له: يا" زند "أنت لا تدع أحدا إلاّ أضحكته.

5ــ السخرية بالذّين يقولون كلاما وينقضونه بكلام آخر أو ينقضون ما يسمعون:

*صلى أعرابي في جماعة ، فقرأ الامام:‹‹**قل أرأيتم إن أهلكني الله ومن معي أو رحمنا ، فمن يجير الكافرين من عذاب أليم**[3]

فقال الأعرابي: أهلكك اللّه وحدك ، إيش كان ذنب الذّين معاك؟ فقطع القوم الصلاة من شدّة الضحك.

6ــ ومن سخرياتهم التخلص في الجواب ، بردّ يبعث الضحك:

*كان"إبراهيم بن علي بن هرمة "الشاّعر الفكه المازح ، مغرما بالشراب ، وقد امتدح الخليفة"أبو جعفر المنصور " فقال له: سل حاجتك ، قال: تكتب إلى عاملك بالمدينة ألاّ يحدّني إذا وجدني سكران ، فقال" المنصور ": هذا حدّ لا سبيل إلى تركه ، فقال " إبراهيم ": مالي حاجة غيرها ، فقال" المنصور " لحاجبه: اكتب إلى

(1)حليم محمّد حسين سيّد ــ السخرية في أدب الجاحظ ــص85.

(2)المرجع نفسه ــ ص85.

(3)سورة الملك ــ الآية 28.

عاملنا بالمدينة:‹‹ إذا أتاك"ابن هرمة " سكران فاجلده ثمانين واجلد الذّي جاءك به مائة ››.[1]

فكان الشّرط يمرون به وهو سكران ، فيقولون: من يشتري ثمانين بمائة؟ فيرونه ويتركونه.

ولهذا عرف الأدب العربي السخرية والفكاهة والضحك ، نظرا لطبيعته المرحة ، فقد كانت له تعابير النكتة والمرح أضعاف المرّات من تعبير الحزن والكآبة ، فمن ذلك على سبيل المثال لا حصر للضحك والقهقهة والابتسام والملحة والمزاح والبشاشة والسرور والابتهاج...في أدبنا العربي من شعر ونثر.[2]

فالسخرية كانت ضاربة في القدم ومتجذّرة في الأدب العربي بدأت ساذجة بسيطة في العصر الجاهلي حيث أنّ الأدباء الجاهليين عاشوا في بيئة كلّها لهو وترف ، كما أنّ الشعراء كان ينحصر شعرهم في الحرب والغناء واللّهو ، وهذه الوضعية تستدعي.

أمّا في العصر العباسي فقد تطورّت تطورا هائلا حيث وجدت ظروف التمدّن والتحضّر والتقدّم العلمي...وكان لكلّ ذلك أثر في تطور السخرية فانتقلت عن بقية الأغراض ، وبرز فيها أدباء كبار ، وقد نهض الأدب الساخر نهضة قوية في العصر الحديث فعبّر عن اهتمامات المجتمع وأفصح عن الأوضاع التّي عاشها العالم الإسلامي.

(1)حليم محمّد حسين سيّد ــ السخرية في أدب الجاحظ ــ ص90.

(2)ينظر ــ صفاء خلومي ــ الضحك في الأدبين العربي والغربي ــ مجلة العربي ــ الكويت ــ ع:34 ــ سبتمبر ــ1961 ــ ص102.

الفصل
الأول

الفصل الأوّل

مفهوم السخرية

1ــ السخرية بين المدلول اللّغوي والاصطلاحي.

2ــ أساليب السخرية.

3ــ عوامل إنتشار السخرية في الأدب الجزائري الحديث.

الفصل الأوّل: مفهوم السخرية:

المبحث الأوّل: السخرية بين المدلول اللغوي والاصطلاحي:

أــ لغة: وردت السخرية في لسان العرب: سخر منه وبه ، ومسخرًا وسُخرا بالضمّ وسُخرة وسُخريا:هزئ به.[1]

السخرية هي الاستهزاء ، وسخر من باب طرب ، وقال الأخفش: سخر منه وبه ، ضحك منه وبه وهزئ منه وبه ، والاسم السخرية.[2]

ب ــ اصطلاحا: نسب عيب إلى شخص ما أو تفخيم عيب في شخص بغرض التهذيب ، والإصلاح ليبرأ منه ، أو من بعضه ، ولهذا فهي وسيلة لخدمة الفرد والمجتمع ، بما فيها من تهذيب وتقويم وإصلاح لأنّها تتضمن نوعا من الزجر أو الردع.[3]

كما عرفت السخرية مدلولات متعددّة باختلاف الدارسين ، ومصطلحات خاصة عند بعض الباحثين ، فقد ارتبطت بالدعابة والنكتة ، والظرف ، والتفكه ، والضحك ، والهزء...وتبعا لذلك فقد تطور مدلول السخرية عبر العصور وهذه الكلمات مرتبطة بالسخرية بعد تقصّينا للمعجم العربي.[4]

وقد وردت كلمة **سخر** في القران الكريم بلفظة" الهزء " في أكثر من خمسة عشر موضعا ، و" الاستخفاف " في الآية 10 من سورة الزخرف ، و" الضحك " يعني السخرية في أربعة مواضع.

---

(1) ابن منظور أبو الفضل جمال الدّين محمّد بن كرم ــ لسان العرب ــ ج2 ــ دار صادر ــ بيروت ــ ص114.

(2) محمّد بركات حمدي أبو علي ــ دراسات في الأدب ــ دار وائل للنشر ــ ط1 ــ 1999 ــ ص107.

(3) رابح العربي ــ فنّ السخرية في أدب الجاحظ من خلال كتاب التربيع والتدوير والحيوان ــ ديوان المطبوعات الجامعية ــ ط1 ــ الجزائر ــ 1989 ــ ص5.

(4) محمّد ناصر بوحجام ــ السخرية في الأدب الجزائري الحديث ــ ص2.

وبلفظة **السخرية** في أربعة عشر موضعا لغرضين هما:

*إمّا استهزاء الكفّار بالنبّي أو الأنبياء السابقين ، أو لإنذار الكفار بسوء العاقبة ، ومنه:

قال اللّه تعالى:« ولئن سَألتَهم لَيَقُولنّ إنّمَا كُنّا نَخُوض ونَلعَبُ قُل أباللّه وآياته ورَسُوله كُنتُم تستهزئون ».[1]

وكان كلّما ضاق صدر النبي صلى اللّه عليه وسلّم بفعل الكفّار وسكرهم ، وأعمالهم الدنيئة ، يخفف اللّه تعالى بذكر ما لقاه الأنبياء من قبله ، كما في قوله تعالى:« وَلَقَد استُهزئ برُسل من قَبلك فحَاق بالذين سَخروا منهُم ما كانوا به يستَهزئون ».[2]

وقوله أيضا:« ذلك جَزَاؤُهم جَهَنّم بما كَفَروا واتّخذوا آياتي وَرُسُلي هُزوًا ».[3]

ولقد سجّل القرآن الكريم الصراع الذّي كان بين رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلّم مع المشركين ، فتجلّت آثار السخرية بصورة تليق وعظمة الخالق عزّ وجلّ لأنّ القرآن الكريم زوّد العقول بثقافة وافرة صادرة من عقل واع استفاد من مختلف تجارب الحياة ، ففضلا عن أنّ السخرية كانت أداة للتسلية فقد صوّبت الأفكار وكبلّت الفساد.

(1) سورة التوبة ــ الآية 65.

(2) سورة الأنعام ــ الآية 10.

(3) سورة الكهف ــ الآية 6.

المبحث الثاني:أساليب السخرية:

يتخيّر الأديب ألفاظه وتراكيبه ليعبّر بها عن مكنون مشاعره ، وعصارة فكره ، ويبني من كلّ ذلك الأساليب ينتقيها انتقاء ليبلغ غايته في إقناع المتلّقي بما يريد إيصاله إليه.

هذا الاختيار والانتقاء ،أو هذا القصد في الكتابة يعبّر تعبيرا صادقا عن مواقف معينة وأفكار تحمل عمقا معينا ، وكثافة متميّزة ، ودلالات خاصة ، وبيّن إبانة عن شخصية الكاتب في التبنّي لتلك المواقف[1] ، والتميّز عن غيره‹‹ في اختيار المفردات ، وصياغة العبارات والتشبيهات البلاغية...››[2] ولهذا عدّ:‹‹ الأسلوب قناة للعبور إلى شخصية صاحبه ، سواء منها الفنّية أو الوجودية ››[3]

والساخر نفسه هو أديب وفنّان ، يبتكر صورا ساخرة من خياله ، بعد أن يطبعها بروحه ، ويصبغها بنوعية انفعالاته ، فتغدو جديدة كل الجدّة ، وذات أهمية لم تكن لها من قبل ، وهذا ما يجعلنا نقرّ بأنّه ليست هناك ضوابط تضبط السخرية ، فهي خاضعة فقط للحريّة حسب ما نشاء من أسلوب نختاره في تناول أمور الحياة الخاصة والعامة.

من خلال هذه النظرة لطبيعة الأسلوب نحاول التّعرف على الأساليب التّي أفرزت من طرف الأدب الجزائري السّاخر وهي كثيرة نحاول عرض بعض منها ، وقد عبرّت عن اهتمامات الأدباء بقضايا المجتمع ، وغرضنا منها هو بيان مدى إسهام الأدب الجزائري في هذا المجال وهذه الأساليب هي:

1ــ أساليب بلاغية:

(1) محمّد ناصر بوحجام ــ السخرية في الأدب الجزائري الحديث ــ ص208.

(2) محمّد عزام ــ الأسلوبية منهجا نقديا ــ منشورات وزارة الثقافة ــ دمشق ــ ط1 ــ 1989 ــ ص10.

(3) المرجع السابق ــ ص23.

توخّي الأساليب البلاغية في الأدب هو من ضروريات ، بل أساسيات الكتابة الأدبية، غير أنّه يجب أن لا يتّم ذلك بتكلّف أو تصنّع ، حتّى لا يزرى بهذه الأساليب ولا يوصف صاحبها بأنّه عاجز مفلس في مجال الأدب.

وقد تعددّت هذه الأساليب في النصوص الأدبية بين الجانب الفنّي والمعنوي،(وسنحاول تسليط الضوء على أوجه البلاغة في مجالات بروز السخرية في الأدب الجزائري) ، وسنحاول التطّرق لبعض أوجه البلاغة لمزيد من تسليط الضوء على مجالات بروز السخرية في الأدب الجزائري.[1]

من بين أساليب المعاني التّي استعملها الأدباء أسلوب الاستفهام ، الذّي اعتمدوه للسخرية من بعض الشاذين والمنحرفين عن سواء الفطرة البشرية.

ــ استعمل محمّد البشير الإبراهيمي هذا الأسلوب للإفصاح عن حسرته من معاملة الاستعمار لمعلّمي الدّين واللّغة ، مقررا حقيقة لا عدول عنها ، وهي أنّ الاستعمار عدّو الإسلام مهما تكن الظروف والأحوال ، موبّخا متعجّبا ممن لا يفهم هذه الحقائق:‹‹ وحسب الاستعمار أن يحاكم معلمّي العربية والإسلام ويسجنهم على التعليم كما يحاكم المجرمين ، ويسجنهم على الإجرام في محكمة واحدة ، وسجن واحد وظرف واحد ، وقد يكون يوم جمعة في الغالب ، أليس هذا احتراما للإسلام؟ ومن مصلحته كما يقول العاصمي أليست هذه هي الديمقراطية؟ فما لكم تكذبون؟ ››[2]

أنهى الكاتب هذه المجموعة من الأسئلة بسؤال فيه كلّ معاني التحسّر والتفّجع من حال المسلمين ، الباعث على الشفقة والرحمة ، وفيه معنى التوبيخ الخفيّ للناس الذّين لا يتفطنون لدسائس المستعمر.

(1) ينظر ــ محمّد ناصر بوحجام ــ السخرية في الأدب الجزائري الحديث ــ ص210.

(2) المرجع نفسه ــ ص211.

وقد اختار الكاتب الأسلوب الذّي استعمله القرآن في تقريع الكفار الذّين لا يؤمنون ولا يعقلون بما هو أمامهم من البراهين والأدلّة على وجود اللّه ، فعمد الكاتب إلى هذا الأسلوب ليقرع الجزائريين الذّين لا يعقلون ، ولا يعون ما يحاك ضدهّم.

ومن بين أساليب علم المعاني البلاغية التّي كثر استعمالها في الأدب الجزائري الساخر أسلوب‹‹ الاعتراض ››، الذّي يعتمد على جمل يأتي بها الكاتب في أثناء كلام متّصل لغرض يقصد إليه البليغ، و لا يكون لهذه الجمل أيّ محل من الإعراب، و حين تكون هذه الجمل في سياق محكم تصبح مؤلمة موجعة يتحوّل الكلام بها من معنى المدح إلى معنى الذّم.

* فالأدباء الجزائريون اعتمدوا هذا الأسلوب للنيل من خصومهم و السخرية منهم. فأبو اليقظان، الذّي اكتوى بنار السياسة لاعنا إياها، مستعملا جملا اعتراضية، لأنّه لا يستطيع النطق بكلمة‹‹ سياسة ›› لأنّها كلمة لاذعة يعاقب عليها القانون، قال:‹‹ لا أنطق بها ناسيا، ولا أتعّمده، ولا أظّنه، ولا أشّك فيه، ولا أتوهمه، ولا أحدّث به نفسي، ولا يخطر ببالي، ولا يقع فيه هاجسي و لا خيالي، و إن أرغمت، أو أجبرت، و ألجأتني الضرورة ــ لا قدّر اللّه، و اللّه يا لطيف على النطق به ــ فإنّي أستبدله بال...بو...لي...تيك...››.[1]

فالجمل الاعتراضية أبانت على ازدراء الكاتب للمستعمر، الذّي كرّه النّاس إلى السياسة، وفيه إشعار بالسخرية من الخانق على الحزاية، رغم أنّها حق شرعي. فاحترس الكاتب من التّلفظ بها مخافةَ التلبّس بتهمة الإجرام.

ومن أساليب البديع التّي تدخل ضمن المحسنات المعنوية أسلوب‹‹ تأكيد الذّم بما يشبه المدح ›› فيعمد الأديب إليه لإبعاد المعنى الظّاهر المباشر، إذ يذّم في معرض المدح و يظّم العلقم الخفيّ في الطعم الحلو إذ أنّ محمّد السعيد الزّاهري يتهّكم من أحد مقربي الطرقية و أسرتها الذّين كانوا يعيشون على نفقة ساقطة‹‹ و كان يموت

(1) ينظر ــ محمّد ناصر بوحجام ــ السخرية في الأدب الجزائري الحديث ــ ص213/212.

من شدّة الجوع من قبل أن يلتجأ إليها، وهي الآن تقوته، وليس لها من مكسب غير الكوميرس التّي تعرق في عمله بياض النّهار و سواد اللّيل، و خير الرّزق ما كان بعرق الجبين و كدّ ››.[1]

ظاهر الكلام مدح المرأة التّي تجتهد لكسب رزقها من الحلال و عرق الجبين ، و مدح للرجل الذّي يقتات من مال الحلال و باطنه ذّم الرّجل لأنّه يعتمد على امرأة تكتسب رزقها من الحرام ، فهذا هو العلقم الخفّي في الطعم الحلو.

ــ ومن ألوان البديع الذّي استعمله الأدباء في السخرية‹‹ الجناس ›› الذّي هو من فنون البديع اللّفظية ، ومن أوائل من تفطّن إليه عبد اللّه بن المعتّز[2] فالجناس يضفي نوع من المتعة و الروعة في الكلام.

فيسخر البشير الإبراهيمي من الاستعمار الذّي ادّعى تكوين لجنة للدفاع عن الإسلام و المسلمين قائلاً:‹‹ إنّ هذاــ في دين اللجنة ــ لفتح جديد السياسة الفرنسية ، من أمضى في تحقيقه بدنه ، فكأنّه قرّب إلى الاستعمار بدنه...››.

فبدنه الأولى تعني جسده و بدنه الثانية تعني ناقة أو بقرة ، فالسخرية تكمن في هذا التعبير و هو أنّ الإنسان الذّي يشقى بجسمه في خدمة المستعمر هو بمنزلة من قدّم ناقة أو بقرة سمينة للعدّو.

2ــ أسلوب التعريض:

التعريض أسلوب يعتمد على التعبير غير المباشر و اللّعب بالمعاني ، من غير أن يكون بين المعاني تلاؤم مشروط فهو نوع لطيف من الكناية يطلق في الكلام مشارًا به إلى معنى آخر من السياق أو المقام الذّي يتحدّث فيه.[3]

---

(1) محمّد ناصر بوحجام ــ السخرية في االأدب الجزائري الحديث ــ ص213.

(2) محمّد أحمد قاسم/ محي الدّين ديب ــ علوم البلاغة ، البديع والبيان والمعاني ــ المؤسسة الحديثة للكتاب ــ طرابلس ــ لبنان ــ ط1 ــ 2003 ــ ص248.

(3) المرجع نفسه ــ ص248.

في التعريض ينال الأديب السّاخر من المسخور منه ، و يبعث بخصمه بطريقة خفيّة ذكيّة و مؤلمة ، في الوقت نفسه، و بذلك يوفّر التعريض الجمالية في التّعبير و الطرافة في القول.

لقد عرف الأدب الجزائري نصوصا كثيرة من هذا اللّون ، فتعدّد الأدباء الذّين استعملوا أسلوب التعريض وسيلة للتعبير عن اهتمامهم.

ــ فهذا الأمين العمودي يعرّض برئيس جمعية علماء السنّة« السينة »ــ كما كان يسمّيهم المصلحون ــ الذّي غاب ضيف قدم إلى زاوية و يقول:« الذّي منعه من حضور هذا المحفل استعداده لوضع هلال رمضان في مكان يليق به ».[1]

فالتعريض يبدو في هذا التنديد بصنيع رئيس جمعية علماء السّنة ، الذّي يعبث بالدّين، و يضل في خدمة المستعمرين ، و يبقى رهن إشارتهم إذ تكمن جمالية هذا التعريض في الوصف الساخر لهذه الحركة التّي يترأسّها هذا الرّجل ، و هي الاستعداد لوضع هلال رمضان في مكان يليق به ، و ما يليق به يساير أهواء المستعمر و ليس تماشيا مع الفطرة الإنسانية و هي عدم تغيير كيفية وجود الكون.

ــ لجأ الأدباء لهذا الأسلوب نظرًا للحسرة التّي تملأ قلوب المقهورين بسبب الممارسات غير الإنسانية، فبحثوا للتنفيس عن النّفس المجروحة، و العذاب الذّي في القلوب.[2]

حفل الأدب الجزائري الساخر بأسلوب التعريض، فتمكّن من الكشف عن الوضع السائد في الجزائر و الإبانة عن القضايا التّي كانت طافية على الساحة الجزائرية، سواء من أبان عن معرفة حقيقة الرأي العام أو ما بقي في دائرة التعبير عن الخلجات و الترويح عن النّفس فحسب.

3ــ أسلوب التّصوير الهزلي (الكاريكاتوري):

(1) محمّد نلصر بوحجام ــ السخرية في الأدب الجزائري الحديث ــ ص218/215.

(2) ينظر ــ المرجع نفسه ــ ص218.

من الأساليب التّي يلجأ إليها الفنّان السّاخر، التصوير الهزلي(الكاريكاتوري) ، الذّي يعمد من خلاله إلى المبالغة في عرض أشكال المسخور منه ، وإشاراته ، وحركاته الظّاهرة ، وتصرفاته اللافتة للنظر، وفي تشخيص ملامحه الخَلقية والخُلقية من خلال الوقوف عند جوانب الضعف في جسد الشّخص ، فينّمي ذلك الضّعف أو العيب.

فالسّاخر بما له من فطنة وذكاء و خيال ، وحسّ مرهف...له القدرة على إدراك الحركات غير العادية ، الموجودة في الطّبيعة ، والتّي يعجز غيره عن إدراكها ، فيضخّمها ، و يهيئها ليراها النّاس مشوّهة ، حسبما يهدف أو يرمي إليه مع تركيزه على النقط المثيرة فيها.

إذن إنّ التصوير الكاريكاتوري هو المبالغة الباعثة على الضّحك الساخر، الهادفة إلى غاية ما ، قد تكون بنية ترمي إلى الإصلاح والتقويم ، والولوج داخل النفوس البشرية وتقريبها للمتلّقي ، فكثير من الشخصيات لا تبدو على حقيقتها، فيأتي الكاريكاتوري ليبيّن عنها.

و قد تكون المبالغة مغرضة تسعى إلى التحقير والاستنقاص من المسخور منه ، وقد تكون لمجرّد الإضحاك والتندّر.[1]

من ألوان الأسلوب الكاريكاتوري في الأدب الجزائري طريقة وصف الشّخصيات وصفا ساخرا طريفا لهدف بثّ أفكار خاصة ، ولفت الأنظار إلى حقائق ذات أهمية، " فاحمد رضا حوحو " كان يقدّم وصفا دقيقا مركزّا على بعض الشخصيات الأدبية و العلمية ، بأسلوب كاريكاتوري مضحك ممتع معتمدا فيه إلى المبالغة و التضخيم.

فكتب عن الشّيخ" نعيم النعيمي " الذّي يمتاز بالفوضى في حياته العلمية و العامة:« وضعت في لقّ ونشر مشوّش ذات اتجاهات متعاكسة ، تتأرجح بين مدّ وجزر فهو

(1) محمّد ناصر بوحجام ــ السخرية في الأدب الجزائري الحديث ــ ص225/224.

شاب في هندام الشيوخ ، عالم في عقل أديب ، فقيه في خيال شاعر، قديم حديث ذو ذاكرة قوية ، ولكنّه فظيع النسيان سريع الغضب ، سريع الرضا ››.[1]

عمل الكاتب على وصف ملامح الشخصية وبالغ فيها ، فيقدّمه بطريقة كاريكاتورية فكاهية، لينبّه القارئ أو يوجهه إلى إدراك مغزى هذه الوصفة ، وهو عدم الاعتناء بالمظاهر على حساب الجوهر.

4ــ أسلوب التنكيت أو التندّر:

يلجأ الأديب إلى السخرية المرحة القصيرة لتصوير إحساسه بالأثر الذّي يعمل في نفسه ، ومن ثمّ يسعى إلى التّخلص من الغيظ الذّي يملأ قلبهن فيخفف عن آلامه ، هذا ما يعرف بأسلوب النكتة أوالنادرة الساخرة التّي هي خبر أوقصة قصيرة مضحكة ، فالنكتة تساعد على الشعور بالانتصارعلى الضّغط والحرمان.

فقد يتندّر أبو اليقظان بمهزلة الانتخابات ، حيث كانت توهم فرنسا الجزائريين بمنحهم حقوقهم فتقوم بعملية تنويمهم لتلهيهم عن المقاومة و الجهاد ، فصور الكاتب ذلك على شكل قصّة قصيرة كان أبطالها فواكه وبقولا:‹‹ بما أنّ السعادة عند علماء اللّغة والفلسفة هي الضحك ، فقد رأينا أن نتحف القراء بقصة طريفة...وهي أنّ البقول والفواكه اشتركت مع الإنسان في الحقوق ، ودخلت معه في ميدان الانتخابات، فقد انتخب الباذنجان والفلفل والطماطم والبصل والثّم والقرع مع مشاركة مادة القطران معهم وانتخبوا السيّد(كبوية) رئيسا ، فقد أصابوا إذ هو كبير الجسم ، فارغ الفؤاد ، فنهنئه بهذا الفوز ونتمنّى له الانتشار....››.[2]

فحاول الكاتب فضح مهزلة الانتخابات ، فوفق في اختيار(الكبوية) كرئيس فهو بشكله الكبير المكوّر الفارغ نوع من النّاس الذّين يفوزون في الانتخابات.

(1) ينظر ــ محمّد ناصر بوحجام ــ السخرية في الأدب الجزائري الحديث ــ ص233.

(2) ينظر ــ المرجع نفسه ــ ص237.

فالنكتة تخفّف من حدّة التوتّر لدى القائل و السامع معًا ، و تحرّر من الضّغط و النفوذ المسيطرين على النّفس.

5ــ أسلوب التبكيت:

ممّا يتفرّع عن التنكيت والتنّدر أسلوب التبكيت ، الذّي يعمد فيه إلى إفحام المخاطب والمتّحدث إليه ، والكشف عن زيف ما يدّعيه ، وجرح كبريائه ، وإسكاته وتعنيفه بالكلام.

وهو أسلوب يعتمد عادة على التلميح والإشارة والرّمز واللجوء إلى التعبيرات و الجمل اللاّذعة ويكون في صيغة(التّعريف) وقد اشتهر كثير من أدباء الغرب بهذا النّوع أمثال " برناردشو" الكاتب الارلندي و" أوسكار وايلد " الإنجليزي... وقد يستخدمون طريقة المقابلة ، بدلا من التعريف كقولهم في بعض البلاد الشّرقية لا يرى الزوج امرأته قبل الزواج ، وفي بعض البلاد الغربية لا يراها بعده.[1]

حفل الأدب الجزائري بأسلوب التنكيت في عدّة أمثلة ومواضع ، فقد كانت بعض الصحف والجرائد تخصّص أركان تتناول فيها بعض الأحداث ، وتنتقد بعض الأوضاع بهذا الأسلوب المختصر ، ومن هذه الجرائد جريدة" البرق " في ركنها قوارص، وكذلك نجد في جريدة" البستان " غلبة هذا الأسلوب فمن عناوينها: معجباتي ، منفصاتي ، مزهياتي ، مقلقاتي ، ممزوجات ، أخبار من الآخرة ، أخبار آخر ساعة...[2] كانت هذه هي أهّم أساليب السخرية التّي عبّرت عن اهتمامات المجتمعات عامة ، والشّعب الجزائري خاصة ، فقد عبرّت عن الأدب السّاخر و أوضحت مقتضياته ، فقد شملت مختلف الثقافات وتطّرقت للعديد من الظواهر و الشّخصيات الموجودة في المجتمع.

(1) ينظر محمّد ناصر بوحجام ــ السخرية في الأدب الجزائري ــ ص242/237.

(2) ينظر ــ المرجع نفسه ــ ص242.

المبحث الثالث: عوامل انتشار السخرية في الأدب الجزائري الحديث:

شهدت سنة 1925 ميلاد الحركة الإصلاحية التّي عملت بهياكلها ووسائلها على تنشيط الحركة الأدبية ، والأخذ بأسباب التغيير والتجديد ، بتبني أساليب متطورة في التعبير.

ولعلّ أسلوب السخرية والتهكّم أبرز هذه الأساليب ، ولقد كان تأّخر انتشار فنّ السخرية وتطوره في الأدب الجزائري الحديث إلى هذه الفترة :ما بعد سنة 1925 لظروف عاشتها الجزائر عامة والحركة الإصلاحية خاصة. وكان شيوعه بعد ذلك لعوامل منها الخاصة بالأدب الجزائري ، ومنها العمة التّي تتعلّق بطبيعة السخرية نفسها وطبيعة الأديب الساخر الحساس وأهم هذه العوامل:

أولا: الضغط السياسي الذّي كان يمارسه المستعمر الفرنسي على الشّعب الذّي عمل على سلبه مقوماته ، وتشويه شخصيته ، وطمس معالمه الحضارية ، وقطع صلته بماضيه وتراثه...فكن لابدّ من سلوك طريق ، أوانتهاج أسلوب يبتعد عن المباشرة في المواجهة ويخفي النية الحقيقية لتوعية الجماهير وتكوينها و تثقيفها. فكانت السخرية إحدى هذه الوسائل غير المباشرة في المقاومة و المواجهة و كذا الانتقام. (1)

قد لا يتفطّن الإنسان العادي لرداءة الحياة التّي يحياها ، أولسوء الظروف التّي يمر بها لكن الأديب عامة والساخر على وجه الخصوص يتيح لهذا الإنسان وللقارئ و المستمع أن يحس بما يحسّ به الأديب الفنان من الرداءة ، بما يثيره في نفس كل واحد من هؤلاء من المشاعر عن طريق سخريته.(2)

ثانيا: تردّي الأوضاع الاجتماعية في الجزائر بسبب الانحرافات دينيا، اجتماعيا و ثقافيا...و اتسّاع دائرة هذه الانحرافات، و تفشّي الفساد، و عجز الأدباء في الإعلان

(1)محمّد ناصر بوحجام ــ السخرية في الأدب الجزائري الحديث ــ ص56/55.

(2) ينظر ــ المرجع نفسه ــ ص56.

عن تذمرهم و سخطهم مباشرة و فشلهم أحيانا في معالجة الأوضاع بالوسائل العادية، مع ملاحظة أعراض الناس عن سماع الحق و تعاليهم أحيانا عن الاستماع للوعظ و الإرشاد...فاستخدموا أساليب مختلفة في التعبير عن كل ذلك بواسطة السخرية و قد وجّه الأدباء انتقاداتهم إلى التعصب الديني و التخلف الفكري و التصلب الاجتماعي، و إلى ما لحظوه من تناقضات في الحياة[1] و الشذوذ من طبيعة الحياة لأنّ السخرية كما يقال: محاولة لطيفة مهذبة الغرض منها تطهير الحياة و المجتمع من الظواهر السلبية...

ثالثا: الصراع الفكري الذّي كان على أشدّه بين الطبقة المثقفة ، ومختلف الاتجّاهات والنزاعات فكريا ، دينيا ، سياسيا ، واجتماعيا وأدبيا وقد كانت البيئة تعج بالأفكار المتباينة والمرحلة كانت مرحلة تلمّس للطريق الصحيح فكان كل واحد يسهم برأيه مؤيدا أو معارضا.[2]

وقد برز في هذه السخرية الهجوم على الأشخاص والهيئات لسبب من الأسباب و عادة ما يفرزها الاحتكاك الدائم وتكون السخرية في هذه الحالة للانتقام كما يقول ادلر:‹‹ البغض والانتقام هما الشيطانان التوأمان اللذّان يولدان السخرية ››.فكان لكل ذلك دوره في شيوع السخرية في الأدب الجزائري.

رابعا: تغيير وسيلة المواجهة وتعويض طريقة المعالجة بما يلاءم الظروف ، وبما يساير المستوى الإدراكي للمخاطبين.وما يتناسب مع أحوالهم النفسية وذلك بإتباع أسلوب ساخر تهكمي ، يتوخى اللغة البسيطة السهلة التّي تنزل إلى مستوى لغة الشّارع أحيانا.[3]

وقد يلجأ في الأسلوب الساخر إلى التعريض والتلميح والتصوير الكاريكاتوري ، و إلى الرمز الذّي يموّه على الظالم ويفوت عليه فرصة رقابة من هو معني بالخطاب.

---

(1) ينظر ــ محمّد ناصر بوحجام ــ السخرية في الأدب الجزائري الحديث ــ ص67.

(2) المرجع نفسه ــ ص57/58.

(3) المرجع نفسه ــ ص58.

فأبو العيد دودو في كتابه" صور سلوكية " يحاول أن يقرّب كل ذلك من وجداننا ، وحسّنا الوطني ، بأسلوب شيّق ولغة مشرفة وسخرية لطيفة هادفة قصد المساهمة في بناء إنسان جزائري جديد يعتّز بما أنجزه.(1)

خامسا: من الأسباب التّي أدّت إلى انتشار السخرية والتهكّم في الأدب الجزائري أيضا ، محاولة التنفيس عن النفوس المجروحة، والقلوب المكلومة ، ومحاولة التّخفيف عن أعباء الحياة الثقيلة ، ومحاولة التخلّص من المرارة والحسرة اللتين ملأتا جوانح الأدباء.إذ الحياة في الجزائر في فترة من الفترات غلبت عليها العبوس والكآبة ، فكان لابدّ من وسيلة لامتصاص هذه الحالات.(2)

سادسا: من هذه العوامل أيضا الحساسية المرهفة ، واليقظة الكبيرة لدى بعض الأدباء ، التّي تجعل حواسهم متفتحة لالتقاط كل ما يعّج به الوسط من متناقضات ، ومفارقات وعجائب وغرائب وما في العالم من ابتذال وما فيها من تصرفات غير مألوفة أيضا.

سابعا: استعداد الفنان والأديب المزاجي للسخرية وهو ما جعل نفسه مهيأة دائما للتعريض لإشباع غريزة نفسية وهي النيل من الأشخاص والهيئات وإغاظة الناس، هذه بعض الأسباب والعوامل التّي أسهمت في انتشار السخريّ أوشيوعها في الأدب الجزائري الحديث وهي كما نلاحظ نابعة من طبيعة الأديب الحساس ، اليقظ ، الشاعر، بما يجري حوله ومن حقيقة استعداد الفنان المزاجي للسخرية سعيًا إلى التغيير و الإصلاح .(3)

---

(1) أبو العيد دودو ــ صور سلوكية من أعماق الجزائر ــ شركة دار الأئمة للطباعة والنشر والتوزيع ــ ط2 ــ 2006 ــ ص58.

(2) محمّد ناصر بوحجام ــ السخرية في الأدب الجزائري الحديث ــ ص58.

(3) المرجع نفسه ــ ص60.

فحين يتمادى في النفس منسوب الألم ، فيوشك سيله أن يقذف بكلّ المؤشرات ، و يفيض ذلك الإحساس الجارف بالحزن والشجن على كل جوانب النفس والجسد معًا ، فعليها حينها التسامي غير ظاهرة السخرية[1]

هذه إذن أهّم عوامل انتشار هذا النوع من الأساليب في الجزائر وهي نفسها التّي نجدها في بعض البلدان القريبة منها تونس ، المغرب ، ليبيا...الخ.

(1) حفصة بوطالبي ــ عالم أبو العيد دودو القصصي ــ دراسة موضوعاتية ــ شركة دار الأمة ــ الجزائر ــ ط1 2007 ــ ص181.

الفصل الثّاني

تجلّيات السخرية عند أبي العيد دودو

1ــ أشكال السخرية في أدب دودو.

2ــ توظيف السخرية في أدبه.

3ــ دلالة السخرية في أدبه.

الفصل الثاني

الفصل الثّاني: تجليات السخرية عند أبي العيد دودو

المبحث الأولّ: أشكال السخرية في أدبه:

من خلال اطلاعنا على أعمال ومؤلفّات أبي العيد دودو، وما يتميز أسلوبه من سخرية وتهكم لطيف هادف على الذين تنكروا لتاريخنا، وثقافتنا وهويتنا، كما ابتعدوا عن أصولنا الروحية و الفكرية؛ارتأينا إلى دراسة أشكاله الساخرة والمتنوعة والتّي تتمثل فيما يلي:

أــ التصوير الكاريكاتوري:

إذا ما تتبعنا مجريات الأحداث في قصص أبي العيد دودو، وجدنا أنّ أسلوب السخرية يبدأ تجليه منذ أوّل قصة من مجموعة بحيرة الزيتون، مجسدا ذلك التجلي في تصوير أقرب إلى التصوير الكاريكاتوري الحي لبعض شخصيات القصة[1] ، تمّ ذلك من خلال ما قدمه الراوي من وصف لملامح فاطمة الفتاة الريفية، فكان وصفا لا يخلو من نغم ساخر فقد كانت‹‹ ضعيفة التركيب ، ناتئة العظام ، شاحبة المحيّا ، ذابلة العينين ، كئيبة النظر، معروقة الأطراف ››.[2]

أمّا أحمد علي في قصّة‹‹ خيبة ›› طالب باكستاني قصير القامة ، ضخم الجثّة إلى حدّ ما ، طويل شعر الرأس ، ذو سمرة عذبة وعينين كبيرتين بعض الشيء ، وديع الحركة ، يغلب على تصرفاته الحياء الشديد و الخوف، كان يرتدي معطفا فاتح اللّون وقد لفّ حول عنقه شالا أحمر يضرب لونه إلى السواد.[3]

وهذا مبروك‹‹ طويل القامة بإحدى عينيه شرم ، كبير الأنف ، منتفخ الوجه ، كثيف الشّعر يرتدي بذلة رمادية و رباطا أسود ››.[4]

---

(1) ينظر ــ حفصة بوطابي ــ عالم أبو العيد دودو القصصي ــ ص181.

(2) أبو العيد دودو ــ بحيرة الزيتون ــ شركة دار الأمة ــ الجزائر ــ ط1 ــ 2008 ــ ص13.

(3) المرجع نفسه ــ ص29.

(4) المرجع نفسه ــ ص32.

وتلك أخت رشيد في قصة" جاء دورك "،التّي وصفها دودو وصفا دقيقا ، فيقول‹‹ أطلّت علي برأسها الصغير وقامتها الرشيقة، وعينيها الكحيلتين، وفمها الملموم ››.[1]

في بعض الأحيان يتمادى مقذعًا في تصويره الكاريكاتوري للشخصيات من خلال قصة" مجرّد بطاقة " حين تكاد تدبّ الحياة في تلك العجوز، التّي بدت بعد الوصف شمطاء سيما ،وأنّ الوصف مس صورتها والصوت معًا‹‹ فتح عينيه على رنّة صوتها المتخّشب ››.[2]

فيخيل لنا أنّ الموصوف بطل أسطوري، أحيانا أوملاك نزل من السماء أحيانا أخرى، كما في قصة" الحبيبة المنسية " حين قال:‹‹ لكن وجهها الأسمر المنقوش ››.[3]

وعن حديثه عن الفتاة التّي رافقت صديقه:‹‹ حقا لقد كانت جميلة جذابة كان شعرها يتمسح بجيدها الرخامي ، وكان حاجباها الرقيقان الأسودان مرتفعين، مما جعل أهدابها تبرز كالسهام المتوترة ،أمّا عيناها فكانتا ذات سواد مصطنع...››[4]

أمّا أجمل ما في امرأة‹‹ عيناها تلمعان كقرص زجاجي ، وذقنها متهدل(...) إذا تحركت كانت تميل برأسها كنعجة مريضة ››.[5]

وأبشع ما فيها‹‹ جبهتها كيقطينة(...) وإذا مشت تضرب على الأرض بقدميها كجندي نازي ››.[6]

وإذا ما استعطفت هذه المرأة انقضت كنمر جائع.

---

(1) أبو العيد دودو ــ بحيرة الزيتون ــ ص71.
(2) المرجع نفسه ــ ص157.
(3) المرجع نفسه ــ ص120.
(4) المرجع نفسه ــ ص157.
(5) المرجع نفسه ــ ص158/157.
(6) المرجع نفسه ــ ص163.

إنّ هذه الصور تكاد أن تكون رسما كاريكاتوريا بالكلمات، وهذا ما يؤكدّ قدرة الكاتب على التلاعب بالألفاظ.

ب ــ ذكر ألقاب الأشخاص بصورة ساخرة: وهذا من خلال رسم الشخصيات بأسماء ساخرة، لكن لتحمل دلالة مقصودة تتناسب والرسم الذّي يطبع على الشخصية، ففي قصة" معدن الكلمة " نجده قد استعمل" أبو عجينة "[1] :«الأخ أبو عجينة موجود» ، و أبو صعدة في قوله:« قولي له أبو صعدة !أنا على موعد معه[2]، كذلك:« أمّ السعد»[3] فيأمّا في نصّ" الخاتم " فقد تجلّت السخرية من خلال ملامح وحركات ابن زيد المداعب الفكه الذّي إن تأخّر عن موعد الأصدقاء للحظات تذمّروا لغيابه وتأخرّه فإن حضر خاطبهم بألفاظ تومئُ إلى عكس ما يقصده حقيقة ، مثيرا أجواء فرح ، و فكاهة بغرض تقويم أخطاء رفاقه.[4]

ج ــ تداعيات ذكريات الطفولة و المراهقة:

إنّ أبو العيد دودو لم يستشعر ذلك الألم الذّي تعرّض له طفلا صغيرا ، حين كان يعيش أسبابه و دواعيه في تلك المرحلة الطفولية من عمره ، بقدر ما استشعره، وأحسّ وقعه ثقيلا على نفسه ، و جسده معًا في مراحل متقدمة من عمره ،وهذا من خلال الذّكريات الأليمة المتداعية بكلّ التفاصيل القاسية، والتّي لا تزرع في النّفس إلاّ الألم، لذلك أتت الصور السلوكية لتعبّر عن واقع نفسي متأزّم لدى دودو.[5]

ففي قصّة" المرابطة " كان الطفل مصطفى، الذّي اتّسم بخفّة الحركة والروح معًا فصوّره فكهًا مرحًا مداعبًا يحبّ الضحك ويميل إلى إحداث الشغب وما مصطفى إلاّ تجسيد لكاتبنا في مرحلة من مراحل طفولته.[6]

(1) ينظر ــ حفصة بوطالبي ــ عالم أبو العيد دودو القصصي ــ ص186.
(2) أبو العيد دودو ــ دار الثلاث ــ المؤسسة الوطنية للنشر و التوزيع ــ الجزائر ــ 1979 ــ ص115.
(3) أبو العيد دودو ــ بحيرة الزيتون ــ ص139.
(4) ينظر ــ حفصة بوطالبي ــ ص187.
(5) ينظر ــ المرجع نفسه ــ ص187.
(6) المرجع نفسه ــ ص188.

‹‹ أذنك هل تحب أن تفقدها(...)انظر إلى الحائط، هذا الظّل الكبير هو قوّتها ››

ومن خلال العناوين التّي اختارها دودو في صوره السلوكية، نلمس هذه المعاناة فقد تقرر نفسيا أنّ المرء لا يعيش الألم مثلما يعيشه الأطفال الصغار لأنّ في هؤلاء في مواجهته يبدون أقوى من الكبار[1] يقول في صورة الوساطة...حليب:‹‹ وإنّما ذهبت أبحث عن الحليب !و لعلّ الصحيح أن أقول ذهبت أتسول الحليب ››.[2]

وكأنّه استعاد المرحلة التّي كان يعود فيها والده دون حليب في عزّ أيام رمضان المعظّم.

وفي صورة‹‹ المستوى...نقيصة ›› أحسّ بما كان يعانيه قبل أن يصل إلى المستوى الذّي هو عليه فيقول:‹‹ سرٌّ نجاحي كله في الحديث عن المستوى...والحديث عن المستوى نقد وتجريح(...)المستوى هنا ضعيف وهناك ضعيف جدا ››[3] و كذلك في‹‹ الاستراحة...تسوّل ››[4] و‹‹ المواجهة...دورة ››[5] و‹‹ الجنحة...شلل ››[6]

د ــ الاستهزاء بالنفس:

قبل أن يوجّه أبو العيد دودو أسلوبه الساخر إلى غيره، وجّهه إلى نفسه قبل كلّ شيء،حين أوشك الخطر يداهم النّفس والآخر،فصح المثل‹‹ شرّ البلية ما يضحك ›› عند هذا الحدّ يسخر أبو العيد دودو من نفسه، قبل أن يسخر من غيره،لا لشيء سوى لأنّ السخرية في عالمه بدت تعبيرا عن نحيب الأعماق،على إنسان أوشك أن يفقد

(1) أبو العيد دودو ــ صور سلوكية ــ ص9.
(2) المرجع نفسه ــ ص10/9.
(3) المرجع نفسه ــ ص71.
(4) المرجع نفسه ــ ص77.
(5) المرجع نفسه ــ ص99.
(6) المرجع نفسه ــ ص102.

جوهره ويتخلى عن إنسانيته، ولذلك كلمّا أضحك دودو عبر صوره يكون في المقابل قد أبكى مقلتيه في نفسه.[1]

هذا ما نلمحه في معظم مقاطع الصور السلوكية من أولّها لآخرها، بدءا من العنوان بغضّ النظر عن المحتوى.

كقوله‹‹ التواصل...مقاطعة ››[2] لغياب الإخلاص بين الإنسان وذاته وبين من يعتبرهم أصدقاءه حين يتحول الصديق في لحظة واحدة إلى عدو يقف في وجهك.

و‹‹ الزيارة...إطلالة ››[3] فقد يعتبر الزّائر زيارته هذه متنفسًا له عن أيّام صعبة عاشها، إلاّ أنّها في مقابل ذلك تضييق من حرية الشخص الذّي يزوره.

وفي صورة‹‹ المزاد...وطن ››[4] يعطينا نظرة عن الذّين باعوا الوطن وكأنّهم في مزاد علني.

و ــ استخدام الحيوان:

من أشكال السخرية عند دودو، من خلال مؤلفاته نجد استخدام أسماء الحيوان بشكل ملفت للانتباه كقوله:‹‹ الكلب يتقاطر دمًا...أكل الذئب الماعز ››[5] وقوله:‹‹ كنت كالذبابة ، أنت تعرف الذبابة !إنّها تحت الضوء ››[6] وإلى ذلك كان الذباب ضيفنا الثقيل يملأ أسماعنا اليوم كلّه ››.[7]

(1) ينظر ــ حفصة بوطالبي ــ عالم أبو العيد دودو القصصي ــ ص189/188.
(2) أبو العيد دودو ــ صور سلوكية ــ ص111.
(3) المرجع نفسه ــ ص149.
(4) المرجع نفسه ــ ص159.
(5) أبو العيد دودو ــ بحيرة الزيتون ــ ص17.
(6) المرجع نفسه ــ ص95.
(7) المرجع نفسه ــ ص152.

كما يقول أيضا:‹‹ كان سقوط المطر فوق السقف القصديري أنشودتنا المحبوبة ننام على نغماتها و نحن متلاصقون كصغار الأرانب ، وكلما نخرج رؤوسنا من تحت الغطاء الضيّق فالأنفاس تدفئ يا أخي ! ››.[1]

ونجد كذلك في صورة السلوكية حين قال:‹‹ الهجرة...بومة ››و‹‹ التقاعد...دودة ››:‹‹ عندما يهبط الليل يعتريني هاجس البومة !كانت هذه البومة تعيش في مكان قريب...كنت أسمع صراخها على مقربة من منزلي ››.[2]

‹‹ إلاّ أنّ دودة ما تأكل مغروساتي الطرية و...أخرى تأكل أيّامي...الفتيّة ››.[3]

وكلّ هذه الأسماء إلاّ ضرب من ضروب الاستهزاء بالواقع المعاش، وتحمل في الوقت نفسه دلالات سنقوم بتحليلها لاحقا.

(1) أبو العيد دودو ــ بحيرة الزيتون ــ ص153.

(2) أبو العيد دودو ــ صور سلوكية ــ ص43.

(3) المرجع نفسه ــ ص47.

المبحث الثّاني: توظيف السخرية في أدبه:

لقد وفّق أبو العيد دودو في إضفاء البسمة على المشهد الباكي ، ويرسمها على المحيَّا الحزين خشية أن تشوّهه الهموم ، فيوفر لذّة فنية مقابل الوضع الأليم.فإنّ سرّ هذا النجاح كون أنّ هذه السخرية ليس مستجدا فيها، ولا في أثرها إنّما هي ذات أصول قديمة في حياة القاص ، أحسّ بوقعها يسري في كيانه مذ كان طفلا صغيرا، فاتّخذت عدّة مظاهر ولعلّ أبرزها:المفارقة التّي يقوم عليها العنوان وكثيرا ما كانت صادمة ، فالعناوين كثيرا ما تشكّلت من كلمتين بينهما نقاط هما المتنفس ، كأنّهما تهيئان المتلقّي لألم الصدمة، والعلاقة بين الكلمة والتّي تليها هي علاقة استنادي ة بين دال ومدلول. [1]

‹‹الاستراحة...تسوّل›› ،‹‹المنحة...حكاية››،‹‹الجنحة...شلل››،‹‹الرسوب...لغة››،‹‹ الحيل... حقيدة››...الخ، ولكن كثير ما لم تدل عليه، تدل على نقيضه.[2]

نذكر من ذلك:‹‹النّوم...حراسة››،‹‹المسؤولية...تهرب››،‹‹الجهل...مكسب››...الخ.

والمفارقة لا تصدر إلاّ عن وعي شديد للذات وما حولها.[3]

إنّها كلام يستخلص منه المعنى الثّاني الخفي عن المعنى الأوّل السطحي ، وهي لعبة لغوية ماهرة وذكية بين طرفين:صانع المفارقة وقارئها ، فهي تثير القارئ وتدعوه إلى رفض المعنى الحرفي، وذلك لصالح المعنى الخفي الذّي غالبا ما يكون المعنى الضّد فهي سلاح للهجوم السّاخر.[4]

فمثلا هذا العنوان''الجهل مكسب'' يثير في الذّهن أكثر من سؤال بعد أن تصدم توقع المتلّقي فيهديه فهمه إلى عدّة تأويلات ، وقبل أن يهديه النّص إلى الفهم السليم لهذا

(1) ينظر ــ حفصة بوطالبي ــ عالم أبو العيد دودو القصصي ــ ص189.

(2) المرجع نفسه ــ ص190.

(3) المرجع نفسه ــ ص190/189.

(4) ابراهيم نبيلة ــ فن القصّ في النظرية والتطبيق ــ مكتب غريب ــ مصر ــ ص198.

التعبير المنزاح ضمن سياقه ، فيكون العنوان قد حقق بعض أهدافه لعلّ أبسطها انجذاب المتلّقي وتشوّقه إلى ولوج النّص.

ورغم هيمنة السخرية على نصوص أبي العيد دودو، إلاّ أنّ موضوع الألم ظلّ المهيمن الأكبر في معظمها، وهذا ما أكدّته الصور السلوكية التّي وإن بدت ساخرة إلاّ أنّها لا تخلو من رنين لصدى ذكريات الألم والطفولة الأولى [1] ،والتّي يحدثنا دودو عنها فيقول:‹‹بعذوبة طفل حزين،تنبعث صورته من ماضيه الحزين ، وما أقدر الحزن على تكرار نفسه في نبضة قلب الطفل›› [2] ويتاح للذكرى أن تفصح عن نفسها، من خلال طابع السخرية‹‹والسخرية مرارة›› [3] إلاّ أنّها إفادة ومتعة أيضا، لذلك لبّى دودو داعي صوتها المتأمّل في نفسه ، وتبقى الكتابة عنده جادة‹‹نوعا ما رائعا من الحياة وقد تكون هي الحياة نفسها›› [4] وإذا أدّاها مرّات بشكل ساخر فلأنّ الهزل يريح العقل ويساعد على الاسترخاء ، رغم أنّ سخرية دودو تترك في النّفس وقعا حزينا، لأنّ مصادرها أعماق تنضح بالألم.[5]

وإنّ مثل هذا الشّخص هو الذّي يستطيع أن يلعب بأساليب السخرية وكذا المفارقة ، ويتميّز هذا المبدع بأنّه قادر على أن يتحرر من ثقله الذاتي، عندما ينفصل عن نفسه ويعلو عنها.[6]

ويظلّ بعد ذلك مراقبا على الدوام لما حوله محدّثا لنفسه،وإنّ وراء هذا كلّه إحساس عميق بالألم.

(1) ينظر ــ حفصة بوطالبي ــ عالم أبو العيد دودو القصصي ــ ص194.
(2) أبو العيد دودو ــ صور سلوكية ــ ص166.
(3) المرجع نفسه ــ ج2 ــ ص18.
(4) المرجع نفسه ــ ص6.
(5) المرجع السّابق ــ ص196.
(6) المرجع نفسه ــ ص197.

المبحث الثالث: دلالة السخرية في أدبه:

إذا أخذنا هذه النماذج التّي بين أيدينا من أعمال الكاتب، وقرأناها قراءة متعمقة لا سطحية، نلاحظ عمق المعاني والدلالات التّي أراد أن نفهمها بأسلوب ساخر.فالسخرية عنده إذن مرة قاسية توازيها سخرية فلسفية أخلاقية عند«برنارد رسل» و«برنارد شو»،وتقابلها سخرية بائسة حزينة مثل سخرية«أبي العلاء» و«شوبنهاور» و«شوفوكو». [1]

ولقد تعددت الدلالات واتخذّت ألوانا عدة أهمها:

1ــ دلالة التّصوير الكاريكاتوري:

إنّ هدف أبي العيد دودو من خلال رسمه لملامح الشخصيات في أعماله، ليس بغرض الاستهزاء بالصفات الخلقية، وإنّما يدلّ ذلك على براعته في الرّسم بالكلمات ليجعل القارئ جزءا من القصة أو شخصية من شخصياتها، فيكون على علم بأوصاف كل شخصية فيها فمثلا في قصة"سامر الحي" يقول:« كان الشّاعر ابن العربية الفحل قصير القامة ، أسود العينين ، أشيب الرأس ، أسمر الطلعة ، صغير اليدين ، مترجرج النظرة حالما ، وكان حاجباه الأسودان يلقيان على عينيه ظلالا خفيفة تزيد في سواد محجريهما ، وتضفي عليهما جاذبية ساحرة أخّاذة »[2]فهو لا يتحدّث هنا عن شخصية محددة، إنّما يقصد بذلك صفات الشّاعر العربي بصفة عامة كما أنّ دلالة التصوير الكاريكاتوري قد لا تكون لغرض السخرية دائما ففي نفس" سامر الحي ":« فراح يشخص بنظرته إليها ، بأمل الأنف الدقيق والعينين الحالمتين ، والثغر الجميل الذّي تحف به بسمة فاتنة ، والشفتين تدعوان إلى غيبوبة في ظلال الأحمر الصّاخب وخمائله،والشعر الذهبي المعقوص...المتمرّد فوق جبينها »[3] هذا يدلّ على مصدر إلهام الشاعر العربي في أغلب الأحيان حين يكتب شعرا في الغزل

(1) عبد العزيز شرف ــ الأدب الفكاهي ــ الشركة المصرية العالمية للنشر ــ ط1 ــ 1990 ــ ص21.
(2) أبو العيد دودو ــ دار الثلاث ــ ص6.
(3) المرجع نفسه ــ ص8.

فالتصوير الكاريكاتوري إذن تتباين دلالته بين السخرية بغرض الاستهزاء والسخرية بغرض يفهم من السياق الذّي ورد فيه.

2ــ دلالة ذكر الألقاب بصور ساخرة:

لقد وظّف أبو العيد دودو ألقاب الأشخاص بصور ساخرة، لا لشيء لكن دلالة لسمة بارزة في ذلك الشخص أو مهنة احترفها كقوله في قصّة" معدن الكلمة ":‹‹ الأخ أبو عجينة موجود ››[1]فأبو عجينة تتحدد وظيفته انطلاقا من مدلول اسمه لأنّه يقوم بعجن الخطط الملتوية وتحضيرها جاهزة لصديقه الذّي هو من شاكلة" أبو صعدة ":‹‹ قولي له أبو صعدة !أنا على موعد معه ››[2]فأبو صعدة الحريص على الصعود السهل غير المكلف.

أمّا في رسالة توصية من خلال اسم شخصيته" أبي مر خوفة " أطلق عليه هذا الاسم لخوفه الشديد من الظلام.و" أبو هراوة " كذلك ليدلّ على الهراوة التّي يحملها في يده دائما فسمي باسمها.

و" أمّ السعد " التّي تبتسم رغم الألم الذّي تمرّ به ويمزّق قلبها فيظنّ النّاس أنّها سعيدة فأطلق عليها اسم أمّ السّعد.

3ــ دلالة الألم:

لقد ظلّ موضوع الألم الموضوع المهيمن على كلّ نصوص دودو وهذا ما أكّدته الصور السلوكية التّي وإن بدت ساخرة إلاّ أنّ هذه النصوص لم تدخل من رنين :‹‹ بعذوبة طفل [3]لصدى ذكريات الألم والطفولة الأولى فحين يتكلّم دودو عنها حزين ، حزين تنبعث صورته من ماضيه الحزين ، الحزين ، وما أقدر الحزن على تكرار نفسه في نبضة قلب الطّفل ›› الطفل بالذّات وإنّما تدّل على ماضيه شخصيا

(1) أبو العيد دودو ــ دار الثلاث ــ ص192.

(2) المرجع نفسه ــ ص193.

(3) ينظر ــ حفصة بوطالبي ــ عالم أبو العيد دودو القصصي ــ ص195.

أيّام كان طفلا صغيرًا والألم الذّي كان يعيش في كيانه حتّى أصبح جزءًا من شخصيته.[1]

وليس أدلّ على ذلك من أن يبدو دودو نفسه هازما للموت والألم الذّي عاشه حين كان صغيرا لم يتجاوز الخامسة فقد أباه فلو لم يحسّ بهول الفاجعة لما بكاه بيدَ أنّه لا مجال لتبذير الألم،فكله قد اختزل موفورا لما هو ات من مراحل الحياة ليعيشه بوعي الرّاشد ، وحسّ الفنّان.[2]

يقول دودو:‹‹ فأنسى أين أنا...أنا التّي تمزقّت أعماقها حزنا وكآبة وفجيعة شعرية...وموتا بطيئا صامتا في...صرخة زمني !ما أصعب هذا أختاه أن نشعر بالحزن دون أمل من أول لقاء !››[3] يحدث بصيغة المؤنّث للدلالة على نفسيته المتعبة والمليئة بالحزن والكآبة.

4ــ دلالة الاستهزاء بالنفس:

إنّ الدلالة التّي يمكن أن نستكشفها من خلال هذا الشكل الذّي وظّفه دودو في أعماله ذات معنى خفي غير ظاهر للعيان حيث أنّه قبل أن يسخر من غيره يسخر من نفسه أولا فعلى المحيطين به من بني جنسه بمجرّد أن تبثه تلك السخرية روح الخطاب يستوعب مغزاها.إذ يقتحم مشهد الصور بطل مادي تكرر ظهوره بأقنعة شتّى فمرّة هو البواب[4] :‹‹ وقوف بوّاب أحد الوزارات أمام عمارة سكنية...›› لأنّه تصور نفسه في باب وزارته يصول ويجول، يأمر وينهى،يقبل ويرفض وكأنّ له سلطة ملك على بابه.[5]

(1) ينظر ــ حفصة بوطالبي ــ عالم أبو العيد دودو القصصي ــ ص195.
(2) ينظر ــ المرجع نفسه ــ ص193.
(3) المرجع نفسه ــ ص194.
(4) ينظر ــالمرجع نفسه ــ ص189.
(5) ينظر ــ المرجع نفسه ــ ص190.

ومرات هو المثقف:‹‹ دخلت المدرج كالعادة››والعادة تكون أكثر من عادة.[1]

ومرات هو الإداري المتسلّط لكنه في الحقيقة هو نفسه ، بدل على نفسه المريضة يجول عبر نصوص الصور السلوكية يستلّذ إيلام البشر ما أمكنه ويحرص على عدم تفويت فرصة الاستمتاع بمنظر ضحاياه يتوهون في شراك ينصبها لهم أينما ولّوا.[2]

إذ تتيح السخرية لمثل هذا البطل أن يتكرر في النصوص فإنّما ليحقق القّاص مقابل اللّذة التّي يجنيها هذا البطل إثارة ألم في نفسه ونفس متلقّيه.[3]

ومن ثمّ يكمن الأثر في التغيير الذّي ينشده وتتحقق الرغبة في محاصرة هذا السادي وإبقائه كأذى يهدد البشر داخل حدود النص فلا ينتشر المرض على مستوى واقع الناس.

5ــ دلالة استخدام أسماء بعض الحيوانات:

دلالة الكلب: لقد اتّخذ الكلب صورتين أي دلالتين الأولى الوفاء ففي الطريق الفضّي كان الكلب برفقة الرّاعي منذ مطلع القصة والذّي طالما شكل في ذاكرة الإنسان رمزا للوفاء،يقول دودو:‹‹ كنت أسلّي الكلب بين الحين والآخر لكي أخيف الذئب فالا يقترب من القطيع ››.[4] وقوله أيضا:‹‹ رأيت الكلب يشّم الأرض أمامي ثمّ يختفي حتّى امتلأت عيناي جدلي الحبيب ››[5] هذا الحيوان الذّي قدمّه دودو في هذه القصّة يبدو أنّه إن دلّ على الوفاء‹‹ الكلب يتقاطر دما ››[6] فإنّه نسبي مؤقت لا يدوم طويلا لأنّه يأتي بالغدر أحيانا أخرى عندما تحول إلى حيوان غادر فالكلاب في جانب منها ذئاب لا تمثّل الوفاء بقدر ما تمثّل رمزا من رموز الغدر[7] إذ يقول

(1) أبو العيد دودو ــ صور سلوكية ــ ص15.
(2) ينظر ــ حفصة بوطالبي ــ عالم أبو العيد دودو القصصي ــ ص191.
(3) المرجع نفسه ــ ص189.
(4) أبو العيد دودو ــ الطريق الفضّي ــ الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ــ ط2 ــ 1979 ــ ص25.
(5) المرجع نفسه ــ ص33.
(6) أبو العيد دودو ــ بحيرة الزيتون ــ ص17.
(7) حفحة بوطالبي ــ عالم أبو العيد دودو القصصي ــ ص117.

دودو في قصّة " عرس الذئب " :‹‹ التقطت الفأس وصحت بالكلب انهره...تمنيت لو تذكر حادثة ذلك اليوم الذّي باغتُ فيه ذئبا وهو يقترب من معيزي ورميته بالفأس وأسلت دمه ولكن الكلب كان من حولي يختفي لحظة ثم يعود إلي ››[1] قدّم دودو الكلب في هذه القصة بشكل ساخر يشبه سخرية القدر الذّي يلعبها معها فهذا الكلب هو نفسه الذّي غدر بكاتبنا أيّام كان طفلا كما أنّه كفيل بالكشف عن المسكوت عنه من أمر علاقة أبي العيد دودو بأخويه وطبيعتها ، هذين الأخوين اللذّان غدرا به وهذا من خلال قوله في نفس القصة:‹‹ ورحت أقارن بينه وبين أخي الآخر محمّد لقد عاد هذا من المدينة ليشتري لنا ثلاث ماعز نتنعم بحليبها في المواسم ، أمّا هو فقد اشترى لنا كلبا لا مباليا مثله ››[2] إنّ مقارنة مثل هذه كافية للانتقام من قسوة الأخ وسوء معاملته لأخيه الصغير(أبو العيد).

دلالة الذئب:كما حمل الذئب في المجموعات القصصية وكذا الصور السلوكية نفس الصورة الثّانية للكلب أي دلالة الغدر والخيانة.

‹‹ أكل الذئب الماعز ›› ، ‹‹ فشددت يدي إلى الفأس وأنا أتمنى لو يمكنني عندئذ أن ألتحق بالذئب وأحطّم رأسه بفأسي ›› [3]

فلعبت السخرية دورها في تقديم جوانب عديدة من جوانب حياة الكاتب أيام كان طفلا صغيرا مجسدة في اختيار مثل هذه الحيوانات:

الذباب:يدلّ على الاستعمار‹‹ وإلى ذلك كان الذباب ضيفنا الثقيل يملأ أسماعنا إلى الآن ›› .[4]

الأرانب:تدلّ على البؤس والشقاء أيّام الشتاء فيلتحم الأطفال الصغار كما تلتحم الأرانب الصغيرة حين تحس بالبرد أو الخوف: ‹‹ ننام على نغماتها ونحن

(1) أبو العيد دودو ــ الطريق الفضّي ــ ص35.
(2) المرجع نفسه ــ ص35.
(3) المرجع نفسه ـ ص30.
(4) المرجع نفسه ــ ص95.

متلاصقون كصغار الأرانب ››[1]

البومة:تدلّ على الشؤم فعادة ما تكون البومة نذير شؤم لدى الكثيرين‹‹ الهجرة...بومة ››[2]

القطط الماجنة:تدلّ على الرقّة والضعف‹‹ إنّكم تنتفخون أمامنا أبدا كالقطط الماجنة،ثمّ لا تنتجون شيئا على الإطلاق ››[3]

وغيرها من أسماء الحيوانات الأخرى التّي وظفت حسب السياق الذّي وردت فيه.

6ــ دلالة بعض الألفاظ والجمل الساخرة:

إنّ بعض الألفاظ والجمل تتخذ شكلا ساخرا للدلالة على قدرات الكاتب الإبداعية ويبرز ذلك من خلال نصوص كثيرة منها مثلا نص‹‹ المتلقي...عجمة ››من [4] الصور السلوكية فعلى امتداد هذا النّص ثبت نوع من التلاعب بالجمل والألفاظ الذّي يؤكد الدلالة الموجودة ومن مثل هذا الاستعمال:‹‹ نحن لا نعرف ــ واللّه ــ كيف عرفنا شخصية كبيرة عينا في القمة الصف بتعيينها نفرح ، ما نكاد ، طلبوا منّا تعريب المؤتمر ، فتأمّرنا في الصنوبر القصري ››.[5]يردّ على هذا الكلام على لسان أحد المسؤولين.

أمّا آخر فيخبر‹‹ دخلت المجلس !إيه نعم ، دخلته ممثلا للقاعدة المريدة ، دخلت بصفتي ممثلا مرادا ! وكنت على يقين بأنّي...الإدارة ذلك ما كنت أريد أن أمثّله

(1) أبو العيد دودو ــ الطريق الفضّي ــ ص193.

(2) المرجع نفسه ــ ص201.

(3) المرجع نفسه ــ ص206.

(4) أبو العيد دودو ــ صور سلوكية ــ ص179.

(5) حفصة بوطالبي ــ عالم أبو العيد دودو القصصي ــ ص189.

وهو نفس ما كان يمثله زملائي المرادون...على اختلاف اتجاههم ومذاهبهم ، والاتجاه في أي مجلس إرادة ››.[1]

فهذه الجمل تركز على الكلمة اللّعبة وتكثيف المعاني ، والدلالات التّي يمكن أن تحملها كثيرة كسرعة البديهة لدى المتحدّث وحسن التصرف في المآزق وغيرها.

كما تحمل زلات اللّسان دلالات عديدة للتعبير عن الواقع النفسي العميق وخلجات الوجدان المضمرة نذكر مثلا قول البطل:‹‹ إيه نهم أقصد نعم ››[2] وهذه الكلمة جائزة دليل على فهم الكاتب بالعصر ، بالثقافة ، بالحضارة ، بالركب الصناعي الحديث وحبّه للاطلاّع على الجديد في لغته وفكره.

وفي نصّ‹‹ في الوظيفة ›› يقول أحد الموظفين:‹‹ وقد دخلت الوظيفة مسؤولا ، ولا تسألوا بعد كيف التحقت بالقضية ، عفوا بالوظيفة ، ولو أنّ الوظيفة قضية بالنسبة لي ››[3] فالبحث عن العمل في ذلك الوقت هو قضية كل شاب جزائري يحلم بوظيفة يكسب بها قوته.

وقوله:‹‹ حتّى المذّلة لم تعد لها قيمة في بئر الحليب وكنت في الحقيقة أريد أن أقول...بئر خادم ››[4] دلالة لشوق الكاتب في طفولته أحيانا للحليب.

‹‹ لا سيما بعد أن كثرت عندنا الدهاليز والمغارات...أعني الأحزاب والجمعيات ››[5]

(1) ينظر ــ حفصة بوطالبي ــ عالم أبو العيد دودو القصصي ــ ص189.
(2) أبو العيد دودو ــ صور سلوكية ــ ص54.
(3) المرجع نفسه ــ ص26.
(4) المرجع نفسه ــ ص11.
(5) المرجع نفسه ــ ص32.

ومثل هذه الزلاّت الساخرة مقصودة للدلالة على تأزّم الأوضاع بعد تعدد الاتجاهات والأحزاب في هذه الفترة.

وتتواصل على مدار النصوص مثل هذه الزلاّت فيكون المرؤوس مهووسا والمسؤولية مسؤولية والجوهري بدل الجوهري بأسلوب ساخر ، تؤكدّه طبيعة الحياة آنذاك.

*هيئة تحريف الكلمات لتؤدي معنى جديدا مثال ذلك ما ورد في نصّ‹‹ الوساطة...حليب ›› يرد على لسان الراوي:‹‹ مضيت بأملي ، ولهفتي إلى بئر العادم مقر شركة الحليب ومشتقاته ››[1] فبئر العادم بدل بئر خادم لانعدام الخدمة فيها.

*حين لا تسمح الاعتبارات الاجتماعية بالتصريح تتحقق في النّص ملاسنات غير محددة مما يسمح بتأويلات متعددة وهنا تتجلى السخرية من خلال الكناية الرامزة مثل ما ورد في نصّ‹‹ النوم...حراسة ›› :‹‹ اختصرت كلامي بالهاء فالهاء فردوسكم المفقود في مجتمع متزمّت ، واسمحوا لي إن أنا استعملت ضمير الجماعة فما أنتم إلاّ جماعة...وإن كانت من نوع جديد ››.[2]

*كذلك التورية وما تؤدّيه من دور في الدلالة على معاني خفية ، توجه السخرية القاص ليستخدمها استخداما خاصا يجعل الأفكار تتوالد مع بعضها ، ومن ذلكما ورد على لسان البطل:‹‹ أعرف كما تقولون أنتم من أين تؤكل الكتف وإسمحولي أن أدخل هذه العبارة في فلسفتي الذاتية ، فهي عبارة تروق لي حقا وأجلستني فوق

(1) أبو العيد دودو ــ صور سلوكية ــ ج1 ص9.

(2) المرجع نفسه ــ ج2 ــ ص8.

كرسيها الوثير ، ومع ذلك فأنا على أتّم الاستعداد لآكلها إن تنكّرت لي وحادت عن طريقي ››.[1] فهناك كلمات وظّفت في غير محلها.

*كما تتجلى السخرية كذلك في نصوص أبي العيد دودو في سير أغوار النفس دلالة للكشف عن مركبات النقص والحرمان وكثير ما ترددت معظم النصوص ، نختار هذا المقتطف من نص‹‹ في المكتب ›› ففي بناء هذه الشخصية المعبرة بنفسها عن نفسها ما يغري بإخضاعها لأحكام علم النّفس ، حتّى يبرر ما يبدو في سلوكها من انحراف وشذوذ:[2]

‹‹ احم احم البوم تنصيبي في المكتب ، وبذلك أصبح مكتبي بعد الآن مكتب غيري ، فأخذت أصدر أوامري في الحين ، أرفع صوتي حينا ، واهتّز فوق مكتبي فيهتّز وكأنّه يطلب بدوره أن أُطاع ››[3]

ومن هذه المركبات ينطلق إيذاء الشخصية لنفسها وغيرها وهذا يدل على بروز(الأنا) المتعلقة بالراوي البطل ، على امتداد المجموعة التّي تدلّ على شدّة تضخّم(الأنا) السادية ، وهيمنتها على أجواء النصوص ممّا يسهم في تصعيد الجو الدرامي عبر قصص الصور.[4]

(1) أبو العيد دودو ــ صور سلوكية ــ ج1 ــ ص22.
(2) ينظر ــ حفصة بوطالبي ــ عالم أبو العيد دودو القصصي ــ ص193.
(3) المرجع السابق ــ ج2 ــ ص8.
(4) المرجع السابق ــ ص194.

فالراوي البطل شبيه بالشخصية المنفردة حين تخاطب جمهورا موجودا بالفعل أو مفترضا ، وتتوقع منه استجابة مما يجعل الحدث يتطور ، وكأنّه يحدث تحت أبصارنا.[1]

وبهذا تتجلى السخرية كموجه للقاص ، أو مسعف له في آن للكشف عن باطن النفس وسبر أغوارها ، ومن ثم التنفيس عن معاناتها وألمها لأجل واقع مزيف يكاد يكون السائد وزمن انقلاب مريع ، أضحت فيها الكثير من القيم الإنسانية يهددها الخطر.

*اتّخذت هيئة الحوار والجدل دلالات عدة منها قوله:‹‹ بربكم ، لماذا تطلبون منّي ، أنا الإنسان العصري اتجاها وتفكيرا وسلوكا وحركة صاروخية ، أن أتّعلم لغة لا تصلح إلاّ لكتابة الحروز والحال أنّي أعرف أنّ في رأس كلّ منكم حرزا طويلا عريضا ولما لا تعترفون بواقعكم هذا....››.[2]

أمّا في قصة‹‹ في الصورة ›› يقول البطل:‹‹ إنّني أبتسم ، أليست البسمة دليلا على الحيوية وشاهدا على الحياة(...) أليست من واجبي بعد ، وأنتم ترونني يوميا أن أذكركم بأنّ الدنيا لا تخلو أبدا من ابتسامة تروق؟ أتدّعون أنّ ابتسامتي غير طبيعية؟ ››.[3]

وكذلك قدم أسئلة وإجابات فرضية كما في نص‹‹ الحافلة ›› إذ يقول البطل:‹‹ فأنا أدفع النّاس وصحبتي يدعونني من ورائي وفي أثناء ذلك يتكلّم فمي وتشتغل يداي وأين تشتغل؟ أراكم قد عرفتم طبيعتي ، فعلا !تشتغل في الجيوب طبعا ››[4]

(1) ينظر ــ مجلّة اللّغة والأدب ــ شنوفي محمّد ــ فنّ السخرية في الصور السلوكية عند الدكتور أبي العيد دودو ــ عدد5 ــص25.

(2) أبو العيد دودو ــ صور سلوكية ــ ص52.

(3) المرجع نفسه ــ ص13.

(4) المرجع نفسه ــ ص42.

خاتمـــــــة

خاتمة:

نخلص في نهاية هذا البحث إلى النتائج الآتية :

كثرة السخرية في أدبنا العربي،التي تناولها بالدراسة ووظف أشكالها وألوانها،باعتبارها فنًا أدبيا ساخرا غني وغزير المعاني والدلالات.

يزخر هذا النوع من الأدب بمضامين ثقافية ودينية وعلمية،إذ أنه مفعم بالمعلومات المستمدة من المصادر القديمة،إذن فالسخرية قديمة قدم الإنسان.

لمست السخرية الأدب الجزائري،فرغم تأخرها فيه إلا أنها تسللت لأغواره ،فاحتلت مكانة هامة وسط نظيراتها من الفنون الأخرى ،إذ تناولت قضايا ومواقف تعبر عن الإنسان في خلقه وطريقة تعامله،إلى جانب أنها عبرت عن مختلف الظواهر الموجودة في المجتمع الجزائري من تصرفات وسلوكات. السخرية قد تكون ترويحا عن النفس أو تسرية عن القلب،أو استنكارا لما سيقع، أو هزءا أو تندرا بالخصم و بالتالي هي تحمل معاني الاستهزاء والتهذيب للإنسان. يعبر أبو العيد دودو بأسلوب رائع عن قضايا المجتمع الجزائري،ومختلف الظواهر المنتشرة فيه،وهذا يدل على رجاحة الكاتب وعمق تفكيره،وشدة إدراكه للواقع المعاش من خلال نقل تلك القضايا من الحياة العملية إلى الحياة الأدبية. تناول أبو العيد دودو السخرية في أغلب مؤلفاته،فقد أوردها في:بحيرة الزيتون،صور سلوكية،دار الثلاث ...وغيرها،وهذا راجع لاعتبارها وسيلة لخدمة الأدب والمجتمع. وظف دودو الفكاهة والدعابة والتهكم توظيفا رائعا،كان يصب معظمه في تهذيب السلوك الإنساني بتقييمه وتقويمه،فعبر عنه بطريقة تجعل الإنسان يفكر في الصلاح والرشاد. عاش أبو العيد دودو طفولة محرومة في ظل فقدانه لوالده،وهذا ما جعل منه إنسانا حزينا منكبا على نفسه،وتتالت الأحزان في حياته،مرة لفقدان والدته،ومرة لقسوة ظروف الحياة التي ألزمته الغربة والابتعاد عن الوطن،والتي دفعته إلى التحصيل،وربما كان هذا الألم والحزن سببا

كافيا لتناوله السخرية إذ أنها تعكس حالته النفسية التي كان يطاوعها بالضحك والفكاهة.

نظرا لكثرة السخرية

في أدب دودو،كثرت الدلالات أيضا بين دلالة رائعة في الرسم الكاريكاتوري ودلالة مفعمة بالنشاط في الاستهزاء بالنفس،لكن هذا النشاط كان في معظمه يتجلى في صورة إيجابية ليس القصد منه السخرية في حد ذاتها بل تهذيب النفس وإصلاحها.

اعتمد دودو على

أساليب عديدة منها المباشرة وغير المباشرة في توظيفه للسخرية،حيث كانت له هاجسا يدفعه التحصيل والتفكير والعطاء،هذه الأساليب وظفت بطرق وأمثلة رائعة وبذلك أثرى معانيها. لم يقتصر أدب دودو الساخر

على السخرية بالإنسان،بل اتجه أيضا إلى استخدام الحيوان بصورة ملفتة للانتباه،وهذا في مواضع مختلفة عبرت عن الواقع المعاش. ويظل موضوع الألم أهم

موضوع في أدب دودو ،فرغم السخرية التي لوحظت عنده إلا أنه لم يتوقف عن سرد ذكرياته الحزينة الموجعة. وتبقى السخرية فنا أدبيا

يخدم مختلف القضايا، ويلمس جوانب الحياة العملية منذ القدم وحتى عصرنا الحالي،نظرا لما تقدمه من أسلوب رائع يضفي البراعة والخفة في النص الساخر.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

المصادر:

ــ القرآن الكريم.

المراجع

1–ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمّد بن مكرم ــ لسان العرب ــ ج2 ــ دار صادر ــ بيروت.

2–أبو الفرج الأصفهاني ــ الأغاني ــ ج17 ــ دار صادر ــ بيروت ــ لبنان ــ ط1 ــ 1423هـــ/2002م

3–أبو العيد دودو ــ الطريق الفضّي ــ الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ــ الجزائر ــ ط2 ــ 1979.

4–أبو العيد دودو ــ بحيرة الزيتون ــ شركة دار الأمة ــ الجزائر ــ ط1 ــ 2008.

5ــ أبو العيد دودو ــ دار الثلاث ــ المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع ــ الجزائر ــ 1979.

6ــأبو العيد دودو ــ صور سلوكية من أعماق الجزائر ــ شركة دار الأمّة للطباعة والنشر والتوزيع ــ ط2 ــ 2007.

7ــ المجلس الأعلى للغة العربية ــ مجلّة اللّغة العربية ــ عدد خاص بأبي العيد دودو ــ العدد11.

8ــ الشيخ سيّد سابق ــ إسلامنا ــ طبعة المطبعة الحديثة ــ مصر ــ 1976.

9ــ حفصة بوطالبي ــ عالم أبو العيد دودو القصصي ــ دراسة موضوعاتية ــ شركة دار الأمة ــ الجزائر ــ ط1 ــ 2007.

10ــ حليم محمّد حسين سيد ــ السخرية في أدب الجاحظ ــ دار الشرقيات للنشر والتوزيع ــ القاهرة ــ 1995.

11ــ رابح العوبي ــ فنّ السخرية في أدب الجاحظ من خلال كتاب التربيع والتدوير والحيوان ــ ديوان المطبوعات الجامعية ــ ط1 ــ الجزائر ــ 1989.

12ــ شنوفي محمّد ــ مجلّة اللّغة والأدب ــ فنّ السخرية في الصور السلوكية عند الدكتور أبي العيد دودو ــ العدد5.

13ــ صفاء خلومي ــ الضحك في الأدبين العربي والغربي ــ مجلّة العربي ــ الكويت ــ 1961.

14ــ عبد العزيز شرف ــ الأدب الفكاهي ــ الشركة المصرية العالمية للنشر ــ ط2 ــ 1990.

15ــ محمّد أحمد قاسم / محي الدّين ديب ــ علوم البلاغة: البديع والبيان والمعاني ــ المؤسسة الحديثة للكتاب ــ طرابلس ــ لبنان ــ ط1 ــ 2003.

16ــ محمّد بركات حمدي أبو علي ــ دراسات في الأدب ــ دار وائل للنشر ــ ط1 ــ 1999.

17ــ محمّد عزّام ــ الأسلوبية منهجا نقديا ــ منشورات وزارة الثقافة ــ دمشق ــ ط1 ــ 1989.

18ــ محمّد ناصر بوحجام ــ السخرية في الأدب الجزائري الحديث ــ بحث تقدّم لنيل شهادة دكتوراه الدولة في الأدب العربي الحديث ــ جامعة الجزائر ــ 1994/1993.

19ــ مصطفى السمكة ــ الأدب في موكب الحضارة الإسلامية ــ كتاب الشعر ــ دار الكتاب اللبناني ــ بيروت ــ 1974.

20ــ نبيلة إبراهيم ــ فنّ القص في النظرية والتطبيق ــ مكتبة غريب ــ مصر.

21ــ يوسف سدان ــ الأدب العربي الهازل ونوادر الثقلاء ، العاهات والمساوئ الإنسانية ومكانتها في الأدب الراقي ــ منشورات الجمل ــ بغداد ــ 2007.

فهرس
الموضوعات

فهرس الموضوعات

الموضوع الصفحة

مقدمة.....1

تمهيد 3

الفصل الأول:مفهوم السخرية

السخرية بين المدلول اللغوي والاصطلاحي

أــ لغة:.....14

ب ــ اصطلاحا:.....14

أساليب السخرية

1ــأساليب بلاغية.....16

2 ــأسلوب التعريض.....19

3ــأسلوب التصوير الكاريكاتوري.....20

4ــأسلوب التندر أو التنكيت.....22

5ــأسلوب التبكيت.....23

عوامل انتشار السخرية في الأدب الجزائري.....24

الفصل الثاني:تجليات السخرية عند أبي العيد دودو

1ــ أشكال السخرية في أدبه

أــ التصوير الكاريكاتوري.....29
ب ــذكر ألقاب الأشخاص بصورة ساخرة.....31
ج ــ تداعيات ذكريات الطفولة.....31
د ــ الاستهزاء بالنفس.....32
ه ــ استخدام الحيوان.....33
2ــ توظيف السخرية في أدبه.....35
3ــ دلالة السخرية في أدبه.....37
خاتمة.....48
قائمة المصادر و المراجع.....51
فهرس الموضوعات.....55
ملحق.....58

ملحق

نبذة عن حياة أبو العيد دودو:

حياته ونشأته:

أبو العيد دودو: من مواليد 1934 ، بدوار تمنجر ببلدية العنصر بالميلية ، ولاية جيجل ، درس بقسنطينة في مدرسة قرانية ثمّ التحق بمعهد عبد الحميد بن باديس عام 1947م.[1]

ثمّ التحق بالعراق لإكمال دراسته ضمن بعثة نظمّها المعهد ، بعد أن قضي فيه أربع سنوات ، وهناك درس الأدب وتخصص فيه ولم يعدم ذكريات طيبة ، تجعله وفيا يحنّ دوما إلى العراق وأهل العراق الطيبين ، حتّى أنّه لم يكد يستشعر وهو بينهم ألم الغربة ، وسرعان ما تجري سنوات العمر حتّى ينهي الدراسة بالعراق سنة 1956 ، وتنشط حركة تنقلاته عبر العديد من البلاد الأوربية ، فيتسع إطلاعه على آدابها وفلسفاتها ، وفنونها وتتّسع رؤيته للكون والحياة ، ويتوّج تحصيله العلمي هناك بشهادة دكتوراه عن المؤرّخ السوري(ابن نظيف الحمري) ، سنة1961...[2]

استمرّ في تحصيله العلمي ، وهذه المرّة بمناقشته رسالته ، فدعته جامعة "كيبل" بألمانيا لتدريس العربية بالمعهد الشرقي الذّي قضى فيه ثلاث سنوات ليعود بعدها إلى فيينا بدعوة من جامعتها مدرّسا للعربية ، ومتطلّعا على الثقافة الألمانية ومختلف الثقافات والآداب الأخرى ، ولم تكن هذه الغربة سوى منفى الرّوح بالنسبة إليه ، فهي حرمته أمّه ، ووطنه ، وآلمته ، وعذبته ، ولم يرضه المقابل الذّي منحته ، والإنصاف فإنّها لم تفتقر تماما إلى كلّ الأشياء الجميلة ، فربّما أملت عليه ضرورة إكمال نصفه الاخر ، وينظّم لحياة زوجية جديدة.[3]

---

(1)المجلس الأعلى للغة العربية ــ مجلّة اللّغة العربية ــ عدد خاص بالدكتور أبي العيد دودو ــ العدد11 ــ ص91.

(2)ينظر ــ حفصة بوطالبي ــ عالم أبو العيد دودو القصصي ــ ص36/35.

(3)ينظر ــ المرجع نفسه ــ ص37/36.

لكن تمضي الأيام ولا شيء يخفف ألم الغربة ، وثقلها الرّازح على روحه ، حتّى يثمر اللّقاء الحضري أربعة أطفال كانوا وأمّهم خير عزاء يواسيه ، ويحنو عليه كلّما كشّرت الأيام في وجهه ، إلى لأن يعود إلى الوطن عام 1969 ، ويلتحق بجامعة الجزائر مدرّسا بمعهد الأدب.[1]

ولأنّ الغربة باتت قدره ، فقد ظلّت تسبب له الألم منذ مراحل طفولته ، فقد طالته حتّى وهو بداخل الوطن ، عندما غادره بعض أبنائه مرة ، وعند رحيل أمّه الأخير عام 1983 ، وقد كانت ذكرى أمّه حزنا وفاجعة لأنّها مثّلت الأمّ والأب معا ، فعلمت أولادها الصبر والتحدّي في الحياة والإصرار على المواصلة وقد استمرّت حياة طفلها أبي العيد عطاء سخيا لا ينضب...[2]

ومع ذلك لم يتشاءم أو ينهزم بل راح يسمو في فكره وفنّه وأسلوبه ، وكان يحمل معاني إنسانية عميقة تتعلق في جانب كبير منها بطفولة إنسان وتألّمه في حياته ثمّ على مصيره المجهول ، لكنّ هذه المسيرة مع ما يشوبها من حزن إلا أنّه في واقع الحياة يبدو بمظهر متناقض تماما لما تكنّه الأعماق:« إنّي أحبّ المرح والضحك ، وهناك مرح في طبيعتي ، ربّما كان لتغطية الحزن الذّي أشعر به...فأنا في الحقيقة حزين في حياتي ، عشت الحزن في طفولتي ، وعشت الحزن في أيّام الغربة ، ولا تزال إلى اليوم أعيش الحزن ، وأحاول دائما تغطية هذا الحزن...وإنّ حزني لا يرفض الحياة ، وإنّه ليس حزنا سلبيا ، بل إنّه حزن إيجابي...».[3]

وبذلك عاش حياة ملأها العطاء الفنّي والفكري ، يجمع إلى ذلك تواضعا نادرا في أيّامنا هذه ، وبعيدا عن الدروس الأخلاقية والخطب الوعظية ، يأخذ بيد رحيمة يد

(1)ينظر ــ حفصة بوطالبي ــ عالم أبو العيد دودو القصصي ــ ص37.

(2)المرجع نفسه ــ ص38.

(3)المرجع نفسه ــ ص39.

أخيه الإنسان ، كي لا يتوه عن إنسانيته وحتّى يوصله إلى برّ الأمان ، سبيله كلمة طيبة يضيء بها عتمة الأعماق...ونور يوهج الآخرين.[1]

وكان هاجس الألم قدره ، الذّي وضع حدا لحياته ومصيره حين اعتصر قلبه ذات جمعة 16 جانفي 2004 ، ليخرج هذه المرّة من الغابة(الحياة) ، كما لم يقدّر لأيّ أبطاله أن يخرج منها منتصرا ، غانما ، محصلاّ الزّاد المعرفي والسمعة الطيّبة والأخلاق العالية.[2]

(1)ينظر ــ حفصة بوطالبي ــ عالم أبو العيد دودو ــ ص212.

(2)المرجع نفسه ــ ص213.

مصادر ثقافته:

إنّ ذلك الزّخم من الإنجازات التّي حققها أبو العيد دودو وسمة التنوّع التّي طبعتها ينّم كلّ ذلك عن سعة ثقافته وتعدّد منابعها بين تراثي وحديث ، وعربي وأجنبي ، فقد نهل من لغته الأصلية(العربية) ابتداء من الجامع الذّي حفظ فيه جزءا من القران الكريم ، وإلى المدرسة الابتدائية ، فمعهد عبد الحميد بن باديس ، وقد استفاد في الأدب العربي ملمًا بشتّى جوانبه قديمة وحديثة حين انتقاله للعراق ، وأتيح له أن يتعلّم العديد من اللّغات الأجنبية وذلك عند ارتياده البلاد الأروبية وقد تمكّن من زمام اللّغات التّالية: الألمانية ، الفارسية ، الفرنسية ولغات أخرى وإن لم يتقنها إلاّ أنّه تعلّم بعض مبادئها كالصينية والإيطالية والإسبانية.[1]

وقد سهّل له هذا التحكّم في لغات مختلفة ، الإطلاع على العديد من الفلسفات والآداب ، خاصة ما يتعلق منها بالتحليل عن النمساويين ، كما نهل من الأدب الروسي ، وأفاد من طريقة أدبائه في الولوج إلى النفس البشرية ، ولم يقتصر على الإطّلاع فقط بل كانت له اهتمامات بكتابات الفلسفة الألمان أمثال "جبريال مارسيل" و"هايدغر "قديما والفرنسي" سارتر " دون أن يفوته الإطّلاع على فلسفة " ابن رشد "وقصة الفلسفة قديما وحديثا لأحمد أمين ، وظلّ دائما جوعان إلى مطالعة جديد للفكر والفّن ، دون أن يقتطع صلته بالتراث ، وخاصة اللّغة العربية التّي لا طالما سعى للتعمّق في كلّ جوانب دراستها وفهمها.

ولم يزل دأبه إلى إن وفّاه الأجل ، وقد كانت بالأمس مكانها كلّما قرأ كثيرا أنتج أكثر ، وكلّما حقق ذلك القدر الوفير من القراءة والإبداع استشعر جوعا أكثر ثمّ أكثر.[2]

(1)ينظر ــ حفصة بوطالبي ــ عالم أبو العيد دودو القصصي ــ ص40.

(2)المرجع نفسه ــ ص41.

مؤلفاته:

لأبي العيد دودو أعمال أدبية وتاريخية كثيرة ومتعددّة ، إضافة أنّ له مؤلفات منشورة ومخطوطة وسنذكر أهمّها حسب الآتي:

1ــ الأعمال الإبداعية:

1ــ بحيرة الزيتون: ط1 :1967 ، ط2 :1984 ، ط3 :1992.

2ــ دار الثلاثة: ط1: 1971 ، ط2 :1979.

3ــ الطريق الفضّي:ط1 :1981.

4ــ صور سلوكية:الجزء الأوّل، ط1: 1981.

5ــ صور سلوكية:الجزء الثاني، ط1: 1990.

6ــ من أعماق الجزائر: الجزء الثالث: ط1 :1993.

7ــ الطعام والعيون ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، 1998 الجزائر ، موفيم للنشر والتوزيع ، 2001.

2ــ المسرحيات:

1ــ التراب: ط1: 1968.

2ــ البشير: ط1: 1981.

3ــ الدراسات:

1ــ كتب وشخصيات: ط1 : 1971.

2ــ الجزائر في مؤلفات الراحلين الألمان: ط1: 1975،ط2 1990.

3ــ دراسات أدبية مقارنة ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر:ط1: 1990.

4ــ من وراء الحدود ، دراسات في الأدب العالمي(مخطوطة).

5ــ جزائريات(مخطوطة).

6ــ هاملت وعطيل(تقديم)1994.

7ــ مكبث والعاصفة(تقديم)1994.[1]

4ــ الأعمال المترجمة:

1ــ مذكرات بفايفر: ط1: 1975 ــ ط2: 1998.

2ــ ثلاث سنوات في شمال غربي أفريقيا(لمالستان)3 أجزاء: 1980/1976.

3ــ خنو الحشيش(رواية عن الجزائر لمالستان): 1971.

4ــ قسنطينة أيّام أحمد باي(لشلوصر): 1971.

5ــ حديقة الحبّ(مسرحية للوركا): 1976.

6ــ الضيف الحجري(لبوشكين):1976.

7ــ مسرحية بادن(لبريخت): 1976.

8ــ الهروب إلى اللّه(السفايغ): 1976.

9ــ الجزائر حكومة وشعبا ، نشرا مساسلا في الشعب: 1992.

10ــ مختارات شعرية ونثرية لغوته: دار الجمل: 1999.

11ــ العالم الجديد لألريش بك: دار الجمل: 2001.

12ــ الأمير عبد القادر ، لكارل يوهان بيرت: دار هومة.

---

(1)حفصة بوطالبي ــ عالم أبو العيد دودو القصصي ــ ص208.

5ــ الترجمات المخطوطة:

1ــ والنور يسطع في الظلام لتولستوي.

2ــ صافو لفرانس عريلبارتسر.

3ــ الطب الشعبي في الجزائر إبّان الاحتلال لشونبيرغ.

4ــ بريخت في بعض قصصه وأشعاره القصصية.

5ــ من قصص تشيخوف.

6ــ ما تغنّى به العندليب لميخائيل زوستشينكو.

7ــ من القصص النمساوي.[1]

6ــ التحقيق:

1ــ التاريخ المنصوري: دمشق: 1982،الجزائر: 1990.

7ــ اللّغة:

1ــ قاموس ألماني ــ عربي 1995،دار الأمة.

2ــ قاموس عربي ألماني.

3ــ اللّغة الألمانية قراءة ومحادثة(بانتصار دوره بدار الأمّة منذ سنوات).

4ــ مفتاح اللّغة الألمانية لجميع المستويات: دار الأمة: 1996.[2]

لقد صدرت أغلب هذه الكتب في البداية عن المؤسسة الوطنية للكتاب بالجزائر ، ثمّ اعتمدت بعض دور النشر بأعماله ، فصدرت له كتب عن دار الأمة ، دار الحكمة ،

(1)حفصة بوطالبي ــ عالم أبو العيد دودو القصصي ــ ص211.

(2)المرجع نفسه ــ ص212.

دار الجمل ، دار هومة ، وكذا منشورات الاختلاف بالجزائر ، والتّي أتاحت للكاتب نشر مؤلفاته.

والأديب مقالات وترجمات وقصص عديدة بالعربية وبالألمانية لم تجمع بعد في كتاب ، وله إضافة إلى كلّ ذلك مذكرات تتجاوز الألفي صفحة ، لم ينشر منها إلاّ جزء ضئيل جدا في: المجاهد الأسبوعي ، والشروق الثقافي ، وصحف أخرى ، وهي تتضمن أشعارا منثورة و أخرى منظومة وأشعارا مترجمة عن لغات مختلفة خاصة اللّغة الألمانية ، وتتضمن قصائد من الأدبين الصيني والهندي مترجمة عن الألمانية.[1]

(1)حفصة بوطالبي ــ عالم أبو العيد دودو القصصي ــ ص212.